أركان الطابور الخامس

أو

الكيسلنجيون

خيل هتلر الطروادية

بقلم

والتر شوبله

تعريب

كاتب كبير من كبار الكتاب المصريين ينم عنه قلمه

كلمة المعرب

ما كدت اقرأ بضع صفحات، من النسخة الانجليزية لهذا الكتاب، حتى شعرت بأنه من الكتب التى يحسن أن يقرأها كل انسان يريد أن يكون على بينة من الأساليب التى تلجأ اليها الحكومة النازية، فى تحطيم نفسية الشعوب التى تعتزم الاغارة عليها وتدمير ماهو قائم فيها من نظم اجتماعية وسياسية،لتصبح بعد ذلك فريسة سهلة المنال لاحول لها ولاقوة على دفع ماينزله بها الغزاة من بلاء.

وماتوغلت فى قراءة الكتاب حتى أدركت أن قراءته ليست من الامور المستحسنة فقط، ولكنها من المسائل الحيوية التى يجب أن يلم بها كل انسان يحرص على الكرامة الشخصية وعلى الحرية الفردية والعامة وعلى الاستقلال بجميع معانيه، وبخاصة ابناء البلاد التى ترنو أعين النازية الى اغتيالها، والتى لاتزال حتى الآن بمنجاة من هذا الخطر.

أدركت ذلك ووجدت أن الواجب يقضى على كل قادر أن يسهل على الناس قراءة هذا الكتاب بنقله الى اللغات المختلفة وبنشره فى أوسع دائرة مستطاعة.

ولما كنت لا أشك لحظة فى أن بلاد الشرق العربى، وفى مقدمتها مصر، من البلدان التى تنظر اليها عين المطامع النازية والفاشستية فى شره

شديد . فقد رأيت من واجبي أن أسرع فى تعريب هذا الكتاب وفى نشره بين الناس . علما منى بأن كل من يقرأه يدرك فى الحال ما يجب عليه أن يفعله ، ان كان مخلصا لبلاده وقومه محباً لخيرهما . لانه سيعرف أين تكمن عوامل الخطر فى هذه البلاد ، وسيتبين ، فى وضوح تام ، أثر الدعاوة النازية والفاشستية وأشخاص المسخرين لها والمأجورين على بيع هذا الوطن العزيز للسفاكين قتلة الحرية ولصوص الاستقلال .

ومتى تبين الانسان ذلك ووقف على أثر الخيانة استطاع أن يقاومها ، وأن يضحى بكل شيء فى سبيل انقاذ بلاده من الخطر الذى يتهدد كيانها وينذر ابناءها بالشر الوبيل

وسيرى القارىء من مقدمة المعرب ومن كلمة مسيو جان مازاريك ، لماذا أطلق على هذا الكتاب اسم « كيسلنج » الخائن النروجى الذى باع بلاده والذى كافأه الالمان بانشاء حكومة باسمه قابلها النروجيون بالازدراء والاحتقار ، وجعلوا منها أمثولة مخزية لمن تغريه المطامع بتضحية وطنه وقومه ثمنا لكرسى الوزارة وما الى ذلك من حقير الشهوات .

فليقرأ المصريون وجميع أبناء العربية هذا الكتاب وليقرأوه فى امعان ثم ليؤدوا بعد ذلك ماعليهم من واجب لوطنهم ولقومهم ولله أولا وآخراً ؟

نبذة مختصرة
عن حياة والتر تشوبك
بقلمــــه هو

لا يزال قائما ، بين بيوت العالم القديم فى وسط مدينة براغ التعسة ، ذلك البيت الذى كان يملكه جوهان ريختر ، أحد أجدادى الأولين ، وكان جوهريا فى براغ وكان محبا للخير .

وكان جدى فريدريك تشوبك مديرا لضياع الامبراطور النمسوى فرديناند ، فى بوهيميا . وعلى ذلك فوطنى الحقيق هو قرية صغيرة اسمها دروزدف واقعة فى غابة بوهيميا الرائعة التى أوت كارلمور بطل رواية شيللر التمثيليـة « دى روبر » أو اللصوص وكان جدى لأمى طبيباً تشيكيا ذائع السمعة فى براغ ، أسمه كومارك .

وكنت ، قبل اشتغالى بالصحافة ـ سنة ١٩١٤ فى اثنـاء الحرب العظمى ـ مشتغلا بالعلوم الرياضية وقد طبع عدد من مؤلفـاتى فى الحساب . وكنت أيضا قد بنيت سكتين حديديتين احداهما فى بوهيميا والثانية فى مورافيا . وكل ما ألفت ـ رسالة حصلت على جائزة عنوانها « ما هو فن الفساد ؟ » وتاريخ الثورة التشكية ، ورواية عنوانهـا السيدة لابسة السواد ، وغيرها : كل هذه المؤلفات تشتمل على الأدلة التى تثبت

ناحية خاصة من العقلية الألمانية تنطوى على نواة الهتلرية .

وفى سنة ١٩٢٣ الفت كتابى « المسيح وظله » وقد تمكنت من الاحتفاظ بنسخة منه عندما هربت إلى لندن . ولم اخدع قط بوجه المانيا المستعار . ولاتزال كل نقطة اثرتها محتفظة بقيمتها . فهذا الكتاب تاريخ تحليل دقيق لفكرة معاداة السامية فى المانيا ، وللآداب الألمانية ، ولفلسفتها وتاريخها . وأنا من تلاميذ مازاريك . وكان مازاريك أفضل وأنبل أهل جيله .

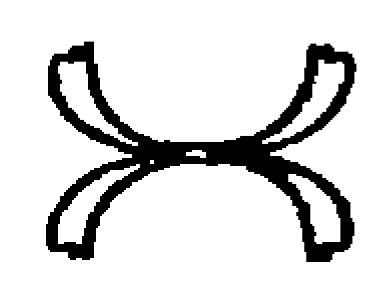
وفى سنة ١٩٢٦ دعانى الى مونيخ صديق الدكتور فريتز جيرلخ الكاتب الكاثوليكى وفى الوقت نفسه رئيس تحرير جريدة « مونخنر نيوستن ناخرختن » فقد أثار كتابى اهتمامه . وكانت هذه هى النقطة التى بدأت فيها حياتى الغربية . فانشأت هناك جريدة « سوديتش سونتا جسبوست » التى نمت حتى أصبحت أعظم صحف الأحد نجاحا فى المانيا

ولما احتلت فصائل هتلر ميونيخ فى ٩ مارس سنة ١٩٣٣ التى بى الى السجن ، فبقيت فيه ثمانى أشهر . وأعدم الدكتور فريتز جيرلخ فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٣٤ . وانى لمدين بخلاصى للصحفى الانجليزى دوجلاس نويل با نتر محرر جريدة دايلى تلغراف .وليس هنا مكان رواية هذهالقصة المدهشة فقد رويتها فى كتابى « البعث »

وذهبت الى باريس وحاولت أن أبين للعالم أن الشيطان على الابواب . وأنشأت فى براغ جريدة اسمها « درمونتاج » للغرض نفسه .. وقد اخذنى دخول هتلر الى براغ فى ١٥ مارس سنة ١٩٣٩ على غرة منى

وعلى الرغم من اننى كنت دائما من رعايا تشيكوسلوفاكيا اصدر هتلر فى سنة ١٩٣٤ أمراً بالقبض على بتهمة «الدعاوة المثيرة». ولسوء الحظ اننى لم اعمل الا قليلا ! والآن قد أصبح الجلاد فى أعقابى. فاختبأت ثلاثة أشهر فى الغابات والقرى المحيطة ببراغ. ثم هربت الى انجلترا عن طريق الحدود البولاندية.

وأنا الآن فى الخمسين من عمرى، وعشر من سنى سرقها هتلر منى. ولكنى الآن أعلم أن نهايته قادمة فى الطريق.



مذكرة المؤلف

هذا الكتاب مدين بوجوده لاشتراك عدد من الصحفيين الذين قرروا ، عند ابتداء الحرب ، تأليف «جماعة المراسلين المتحدين» فى لندن ليسهلوا ويبسطوا طريقة الحصول على الأخبار لصحفهم الخاصة فى الممالك المختلفة فى كل قارة من القارات .

والصحفيون على علم تام ، بحكم تجاربهم الشخصية ، بالموضوع الذى يعالجه هـذا الكتاب . فبول فريشاور الروائى المؤرخ الذى وضعت « جماعة المراسلين المتحدين » تحت إشرافه هو الذى أوحى بفكرة هذا الكتاب . واوجين ليهوف الخبير الممتاز فى الفن السياسى، الذى اتخذه هتلر أداة لاخضاع مثل هذا العدد الكبير من البلدان والشعوب قد ساهم فى اكبر جزء من المواد الكثيرة جداً التى لا يمكن أن يستعمل منها إلا جزء صغير لضيق الحيز المعد للنشر ، وقد ساهم بقية أعضاء « جماعة المراسلين المتحدين » فى هذا العمل بمعلوماتهم الخاصة النفيسة فيما يتصل بأساليب « الكيسلنجيين » — فاليهم أتقدم بالشكر الخالص .

« و . ش »

من هينلين الى كيسلنج

بقلم جان ماسرايك

الوزير التشيكوسلوفاكى فى لندن

كان العالم بطيئا فى يقظته . فقد مكن المرة ، بعد المرة ، كيسلنجيين جددا من أخذه على غرة . ففى مأساة تشيكوسلوفاكيا لعب كونراد هينلين الدور الذى لعبه من قبل «سايس انكوارت» فى النمسا، والذى لعبته من ذلك الحين جميع تلك المخلوقات التى سخرها هتلر والتى أطلق عليها اسم « كيسلنج » النرويجى فاصبح علما لها . وقد بقى العالم فترة طويلة لا يصدق التشيكيين عند ما يقولون أن هتلر لم يكن معنيا بما يسميه تحرير الالمان السوديت ، وان الغرض الذى يرمى اليه انما هو تدمير تشيكوسلوفاكيا والتحكم فى أوربا ولكن العيون تم تفتحت آخر الامر

وخطة هتلر هى خطة «الطابور الخامس» التى يقصد بها إلى مد الوسائل الالمانية الداخلية إلى ميدان السياسات الخارجية . وتنطوى هذه الخطة على العنف المجرد من الرحمة وعلى الرشوة والافساد ، وعلى الحنث فى اليمين ، والتزوير والغش والخداع والابتزاز . ولقد ابتلينا فى تشيكوسلوفاكيا « بحرب الابتزاز بالجملة » ، فلنحذر جميع الامم التى لا يزال عليها أن تدافع عن استقلالها . « فالكيسلنجيون » عنصر خطير من العناصر المساهمة فى العمل للوصول إلى هذه النتيجة .

مقدمة

النظام الفنى للتابور الخامس

لكل حرب جواسيسها وخونتها ، ولكن لم يعرف ، قبل أيام النازية ، أن حكومة من الحكومات حاولت ، فى أيام السلم ، بطريقة منظمة وبمساعدة أداة هائلة ، أن تقوض استقرار كل دولة أخرى فى غير استثناء . على أن هذا هو الذى كان النظام النازى يفعله ، فى غير انقطاع ، منذ سنة ١٩٣٣ . وادارة المخابرات السرية الالمانية ، التى توجه هؤلاء «الكيسلنجيين» وتعد التابور الخامس للعمل ، أشد خطرا من هملر رئيس الجستابو ورجاله

وما من شك فى أن هملر ومساعديه يلعبون دورا كبيرا فى تقويض نظم البلدان الاخرى ، فهملر يرسل الى الخارج ، على الاستمرار ، جيوشا من الجواسيس والوكلاء والارهابيين وعمال اللاسلكى متسترين فى كل ما يمكن ان يتصوره الخيال من وسائل التخفى . وهو يعمل ، على اتصال وثيق ، بجيش المخابرات السريه

والجنرال نيكولاى والاميرال كاناريس ، اللذان يتوليان مرة أخرى ادارة الجاسوسية الحربية ، كما كانا يعملان فى الحرب الماضية ، يتلقيان جميع التعليمات الخطيرة من رئيس الجستابو

كذلك تعمل وزارة الخارجية فى برلين لمعاضدة وسائل التدمير الموجهة الى الدول التى عقدت معها معاهدات صداقة وعدم اعتداء . وتعمل هذا على صورة لا مثيل لها فى التاريخ .

فن القوانين غير المكتوبة ان يتجنب رؤساء السفارات والمفوضيات ، فى البلاد التى اعتمدتهم ، جميع الاعمال غير المشروعة ، أما عند النازى فلا وجود لهذه القوانين . فكثير من اخطر مناصبهم الدبلوماسية قد شغلها رجال أظهر صفاتهم المهارة فى التجسس وتدبير المؤامرات السرية . وفى الحق أن النازيين قد وضعوا معنى جديداً لكلمتى « الهيئات الدبلوماتية » فهم يشغلون المراكز الدبلوماتية بالجواسيس والارهابيين ، وعلى وجه أخص بهؤلاء الذين يسمون « صحفيين » ملحقين بمفوضياتهم وسفاراتهم رجالا لا علم لهم على الاطلاق بالدبلوماسية . ويشمل أمثال هؤلاء الرجال رؤساء وكالات السياحة ووكلاء الشركات التجارية وبيوت الأعمال . ولا يلبث السائحون التجاريون أن يصبحوا فى ليلة « مندوبين فى المسائل التجارية » ولم يعرف قط فى التاريخ أنه كان لألمانيا قناصل عامون بالكثرة التى لها اليوم ومن الأسرار المكشوفة ان كثيرين جداً من هؤلاء الموظفين الرسميين يسيئون استعمال امتيازاتهم الدبلوماتية بحركات ضارة قطعاً بالدولة التى يعيشون بين أبنائها .

وقد سمح للجاليات الألمانية فى جميع الدول ، على التقريب ، بأن تحتفظ بفروع محلية للهيئات الحزبية الألمانية التى تنتمى اليها . فهم فى كل

مكان «نقط قوية» مثل جماعات «جبهة العمل الالمانية» وجمعيات السيدات» وحركات الشباب الهتلرى، وأندية الطلبة الألمانيين، ولهم فى كثير من الدول وحدات شبه عسكرية من فرق الهجوم والحرس الاسود . ويجب أن يضاف إلى هؤلاء جميعا هيئات اشتراكية، من كل نوع . وعلى الرغم من جميع تحذيرات السنوات الأخيرة، لايزال من غير المعروف، بقدر الكفاية، ان كل المانى يعيش فى الخارج ويتبع احدى هذه الهيئات ليس رجلا حر الارادة ولكن حتم عليه أن يكون آلة خاضعة خضوعا أعمى النظام النازى، فهو خادم « ادارة التنظيمات الخارجية » التابعة لهر بوهل وزير الدولة واشد شركاء هملر اتصالا به .

ويقضى هذا النظام بأن كل المانى يعيش فى الخارج، ولا يكون قد خرج على النازية، يجب عليه أن يصبح من تلقاء نفسه وكيلا لادارة المخابرات السرية الألمانية، ولا يطلب منه أن يضطلع فقط بأعمال التجسس على مختلف أنواعها، ولكن إذا كان على شىء من الكفاية فعليه أن يساعد فى تجنيد الكيسلنجيين وفيما يسمى « الدعاوة » بين رعايا الدول الأخرى . وليس من مجرد المصادفة أن « ادارة التنظيمات الخارجية» وغيرها من الهيئات، والدكتور جوبلز ووزارة الدعاوة تغمر العالم باحمال سفن من مواد الدعاوة . فهذه الدعاوة اقل اتصالا جدا بترجمة المثل العليا النازية إلى لغة الاقوام التى تنشر بينهم منها باعداد التربة الصالحة لنشاط حركات الخيانة .

وترسل « ادارة التنظيمات الخارجية » إلى الممالك الأجنبية رجالا

ونبلاء من ابناء البيوت الأصيلة وذوى المكانة العالية ، ايشتغلوا بالدعاوة في المجتمعات ، وهى دعاوة غرضها الوحيد تحطيم روح الدفاع والهجوم في نفوس الأمم الأخرى . وهؤلاء هم الأنبياء والرسل الزاحفون الذين نشروا قبل الحرب «انجيل» هتلر القائم على حبه السلام ، وألفوا جماعات دولية « لتقوية روابط الصداقة بين الأمم » و « مقاومة خطر الحرب » وقد تلمسوا الطريق إلى دوائر انصار السلام والخياليين الذين اعتقدوا ، في إخلاص، أن التعاون مع النازية معناه السلام والاستقرار في أوربا .

على أن وكلاء المانيا يعملون ، مع ذلك ، لافى المنتديات الاجتماعية فقط ولكن بين جميع طبقات الشعب . فهم يأتون جماعات فى ثياب « سائحين » (وهؤلاء يتصادمون مع الفلاحين) وفى ثياب « صناع » و « عمال مباحث» أو « طلبة متجولين » . وهم ، وفاق الظروف ، يدعون للاشتراكية المعتدلة أو الشيوعية أو الفاشستية .

ومن الوسائل المفضلة عندهم لكسب مجندين (أى جواسيس ووكلاء وارهابين) إثارة النفوس ضد الجنس السامى .

وفى كثير من البلدان ، وبعضها مما لم يكن اليهود فيها أقوياء بكثرتهم العددية أو بما يشغلون من المناصب الهامة، استطاع مبعوثو ادارة المخابرات السرية الالمانية هؤلاء ، باستخدامهم فقط الدعوة ضد اليهود ، أن يخلقوا تلك الحركات الفاشستية القومية التى يتغذى منها الكيسلنجيون . وليس ذلك بطبيعة الحال بدون مساعدة مالية .

ويجب أن يضاف إلى هذا كله أداة الدعاوة الواسعة النطاق — مصنع

أكاذيب جوبلز، التي يمون بيضائعه جماهير الشعب، دون اكتراث للثمن، وباستخدام كل وسيلة معقولة. وفي كثير من البلدان صادفت هذه الدعاوة تربة خصبة لأن أغلب الحكومات لاتجنح، في وقت السلم، الى استخدام الدعاوة المعارضة، حتى ولا دعاوة خاصة بها على الاطلاق. فهذه الحكومات انما تعتمد على ادراك الشعب وسلامة تقديره، ناسية انه في وقتنا هذا يوجد لسوء الحظ ليس فقط عقول كثيرة مريضة، ولكن هناك من العقليات الضعيفة مايزيد عدده على ذلك كثيرا، وهي عقليات اذا لم يتداركها ترياق فعال استسلمت في سهولة لما تشرب في انتظام من جرعات سم الدعاوة الالمانية.

ولما بدأ النازيون يستخدمون الآراء البلشفية، بعد عقد الميثاق بين المانيا وروسيا، انضم الدكتور لاى رئيس جبهة العمل الألماني وحركة «القوة من خلال السرور» الى صفوف الدوليين، وأعلن صيحة الحرب الاشتراكية القديمة «ياعمال الأمم جميعا اتحدوا!»، ودعا عمال العالم أن يؤيدوا الاشتراكية الوطنية ضد «الرأسمالية البريطانية والفرنسوية» وبهذا النداء ناقض الدكتور لاى التوكيدات المستمرة التي كان رئيسه الفوهرر يقول فيها «ان الاشتراكية الوطنية محصول ألماني خالص، ولايصح اعتباره اداة معدة للتصدير».

وقد بقي السياسيون العمليون فترة طويلة وهم يعرفون أن هذا القول كان كذبة من أسود كذبات هتلر. ويدعو الى الأسف أن كثيرا من الناس في كثير من الممالك لم يستطيعوا أن يدركوا ذلك الى أن غزت

الجيوش الالمانية نروج ودانيمارك ، متنقلين الى هناك « ببواخر الطرب » المعدة لمشروع « القوة من خلال السرور » . ومما يدعو الى الدهشة والحيرة ، بعد تجارب النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولاندا ، ان الساسة المسؤولين فى كثير من الدول قد ابطأوا كل هذا البطء فى ادراك أن الصادرات الرئيسية التى تصدرها المانيا النازية هى - خيل طروادة .

وانه لمن المسبة لعمال العالم أن يدعوهم دكتور لاى للانضمام الى « الدولية » الالمانية الجديدة لانها « دولية » لصوص الأمم جميعا ، « دولية » مكونة من عناصر دنيئة مستعدة لان تخون بلادها نفسها وهى منجذبة إلى هتلر كما لو كانت منجذبة الى مغنطيس . وقليل هم الذين يدركون أن هذه « الدولية » ليست ، على الرغم من توكيدات هتلر ، الا مشروعا منظما الى حد ما . ومن الجائز أن تكون « الدولية الوطنية » السويسرية التى وضعها الدكتور كيلر قد اشتملت على قليل من النفوس الساذجة ، كما يجوز أن تكون بعض هذه النفوس الساذجة قد انضوت تحت لواء « نظام الجامعة الآرية العالمية » الذى وضعه الكولونيل فليشاور فى إيرفرت وقد تكون هذه النفوس قد اعتقدت اعتقادا صادقا أنها لا تحارب إلا البلشفية واليهود ، ولكن جميع « الخياليين » الذين اتحدوا مع اخوانهم الالمان فى هذه الجماعات وغيرها ، لابد أن يكونوا قد عرفوا أنهم ليسوا اكثر من آلات فى يد السياسة النازية ، وانهم الخونة المختارون وذابحو أوطانهم وحافرو قبورها ، فى اللحظة التى يقرر فيها هتلر أن يقطع مرحلة أخرى فى مشروعه الذى وضعه لغزو العالم كله .

وحتى اليوم لا تزال هناك فى كل ناحية من نواحى العالم، من يسمون «سياسيين» من يأبى أن يصدق أن حلم هتلر بالقوة ينتظم العالم كله. وفى الغزو الهائل لنروج ودانيمارك وهولاندا وبلجيكا ما يبين ما قصد اليه هتلر عندما قال مرة للدكتور راوشننج: «لن تكون بى من حاجة للاشتباك مع فرنسا فى حرب وحتى فى باريس سيرحب به الناس بصفة كونى محررهم».

ومنذ تولى النازيون الحكم وهم محتفظون «بتابورهم الخامس» حتى فى الممالك التى لا يمكن أن يحدث فيها ما يدعو الى التصادم مع ألمانيا. ولم يكن «التابور الخامس»، كما افترض البعض، جماعة صغيرة من وكلاء ادارة المخابرات السرية الالمانية، ولكنه يعنى عددا كبيرا من المجرمين السفلة الذين يعملون لتقويض الاستعدادات الدفاعية فى أوطانهم، وعلى هؤلاء الخونة أن يعملوا ليل نهار فى حماسة يغذيها تشجيع مستمر من برلين. ولم تكن مسألة أخذ نروج من الداخل مسألة بضعة شهور: بل كانت نتيجة تدبير متقن مستمر منذ سنين. ولما وجدت الحاميات على حين فجأة بغير ذخيرة، ولما قطعت أسلاك آلات كشف الطائرات فى اللحظة الحرجة، وأبطل بطريقة خفية عمل الالغام المبثوثة فى «فيورد أوسلو» فى الوقت الذى دخل فيه الاسطول الالمانى البواغيز الضيقة، لم تكن مثل هذه الاعمال قد استنبطت على الفور ونفذت بمثل هذه السرعة. فهى قد دبرت ورسمت خطتها لادق تفصيلاتها منذ زمن طويل قبل الغزو، وربط بعضها ببعض بمثل دقة الساعة.

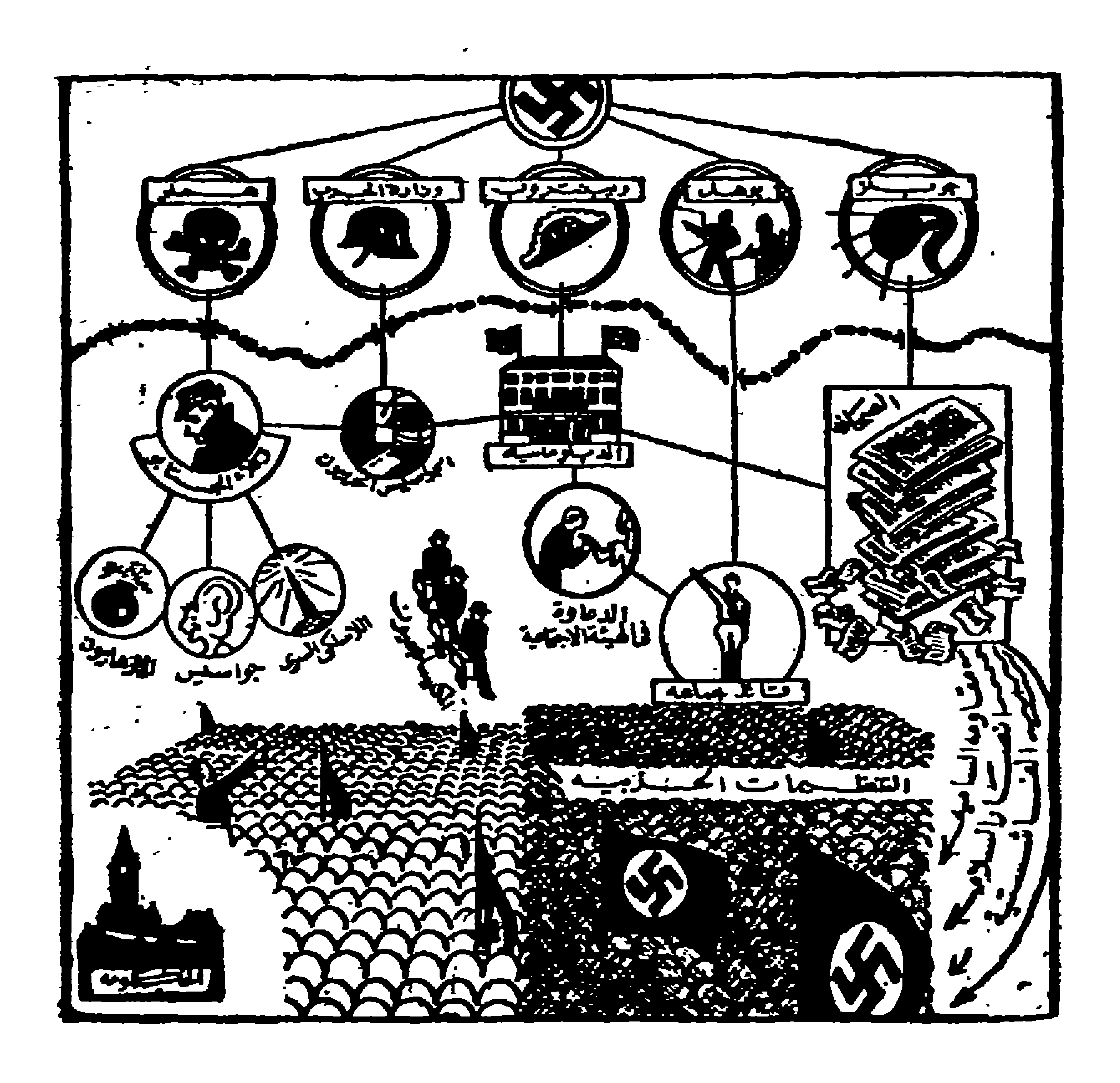
وبعد سنة ١٩٣٣ كانت جميع تلك الدول التى لا تزال محايدة وتخشى

الآن أن تكون قوات الظلام تعمل فى حدودها كما عملت فى نروج وهولاندا ، تتجاهل جميع التحذيرات التى وجهت اليها ضد الدعاوة الالمانية الواضحة . ففى كل من هذه الدول سمح للجاليات الاجنبية أن تنشىء التنظيمات الحزبية نفسها الموجودة فى الريخ ذاته . ولم تكن هذه التنظيمات سوى مدارس للتدريب على أعمال التجسس والتخريب والتآمر السرى الموجهة الى البلد الذى اكرم وفادة هذه الجاليات .

كذلك انهالت عبارات السخرية على هؤلاء الذين قالوا إن ما كان يسمى «دعاوة» لم يكن بالفعل محاولة للتأثير فى عقول الناس ، ولكنه خطط خفية سوداء خطرة تهدد الامم المختلفة فى صميم كيانها

ألم يقولوا مرارا ، فى ديموقراطيات اسكندينافيا وأوربا الغربية والبلقان أن إدراك هذه الشعوب كان فى حصانة ضد الجراثيم المعدية التى يحملها جوبلز ورسله ؛ وكانت القيود توضع المرة بعد المرة على حركات بعض التنظيمات الفاشستية وهى قيود تتألف عادة من تحريم تشكيل الوحدات الشبيهة بالعسكرية أو مجرد تحريم لبس بعض الازياء العسكرية أو القمصان الخاصة ، وكان انقطاع سير التوابير الصاخبة الذى ترتب على أمر التحريم سبباً فى الاعتقاد بأن أسباب الاضطراب قد انتهت . ولم يكن أغلب الناس ينظر الى أبعد من ذلك . ولم يعرفوا ان الواجهة هى فقط التى تغيرت ، وأن الخيانة والمؤامرات السرية والرشوة الفاضحة للرجال الذين فى ايديهم المراكز الرئيسية ، كل ذلك كان لا يزال مستمرا . ولم يكن هناك من شك فى أن ضباط الجيش

الذين أعلنوا أنفسهم معارضين أشداء للدول الدكتاتورية كانوا من ماجورى هتلر . ومثل هؤلاء الضباط قد ادعوا أنهم رجال شرف وقد اعتقدوا أنهم كانوا يخدمون بلادهم أحسن الخدمات ببيعها « لاسباب تصوريه »



وقد حدث المرة بعد المرة من جراء التقديرات المتصلة بحرية الضمير وبالتسامح الديمقراطى ان المتقلبين السياسيين والشواذ وغيرهم فسمح لهم بحضور مؤتمر حزب النازى فى نورمبرج . ولم يكن معروفا أن وكلاء مصلحة المخابرات السرية الالمانية هناك قد راقبت جميع الحاضرين مراقبة عامة ، لان مصافحة هتلر لكثيرين من هؤلاء الخونة كانت الدفعة الاولى على حساب أجر أكبر يجىء فيما بعد

ومن المدهش فوق ذلك أن نرى كيف يتفق جميع هؤلاء الخائنين والكيسلنجيين والموسرتيين فى طرازهم ، ليس فقط من ناحية أنهم مسبوكون روحيا وأخلاقيا فى قالب واحد ، ولكن من ناحية المظهر الخارجى أيضا فاذا رآهم أى مراقب على علم بشىء من الطبيعة البشرية استطاع أن يدرك أنهم من أتباع هذه السياسة الوحشية الخادعة الخائنة التى ينظر بها النازى الى الحياة

* * *

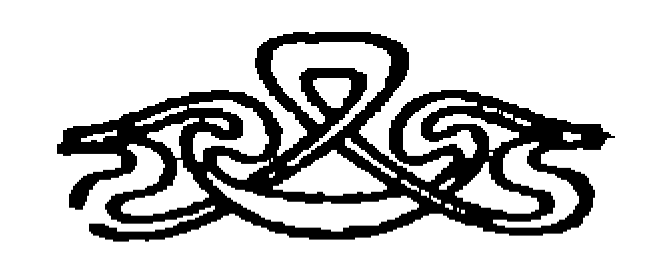
الغرض الذى يقصد اليه هذا المؤلف الصغير هو فتح أعين العالم وتمكينه من أن يحمى نفسه من « الكيسلنجيين » . فهذه الدول المحايدة المسالمة التى أبقى عليها حتى الآن ، فى هذه المعركة الهائلة ضد استبداد هتلر ، معرضة لخطر المصير الذى صارت اليها النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ودانيمارك ونروج وهولاندا وبلجيكا ، اذا هى لم تحط علماً بالفن الكثير النواحى الذى تقود به ألمانيا « خيل تروادة » . فهذا الفن الذى استخدمه هتلر فى الحرب الاهلية الخفية التى أثارها مدة سنوات فى

قتاله للوصول الى الحكم، قد استخدمه منذ سنة ١٩٢٣ فى ميدان السياسات الدولية . وهو أيضا نوع من الحرب الاجمالية، هو فن المعتدى على القانون وسارق المصارف واللص ، والنصاب ، والمبتز ، والمزور والنشال ، فهو فن لا يعرف القيود ولا الحدود ، ولا يتعفف عن أية وسيلة ، ولا يتردد فى العمل ، ولا يقيم وزنا لقوانين العادات والاخلاق والكرامة ، ويعرف كيف يستخدم غرائز الشر الكامنة فى الجنس البشرى ، هو الفن العلمى الذى يستخدمه اللص الذى يستعمل احدث الآلات واجـدها ، إنه الحرب النفسية الاجمالية التى يثيرها فاعل الشر الذى يغرى فريسته فيجذبها إلى الشرك قبل أن ينزل بها الضربة القاضية .

لقد رأيت تطور هذا الفن الهتلرى فى المانيا منذ سنة ١٩٢٦ ، فوجدته فن تآمر وافساد عام . وفى ٩ مارس سنة ١٩٣٣ القيت فى سجن بمونيخ بأمر هتلر . وبعد ثمانيـــة اشهر حجز فى سجن البوليس فيما يسمى « لوفوينجروب » أو مغارة الأسد ، فى مونيخ وفى اصلاحية أستادلهيم على مقربة من مونيخ توافرت لى الفرصة الطويلة لدرس ذلك الفن درسا جيدا من البيانات التى وقعت عليها من مئات المساجين السياسيين . ولما زحف هتلر على موطنى « براغ » فى ١٥ مارس سنة ١٩٣٩ اضطررت لأن اختفى ثلاثة أشهر فى الغابات والقرى المحيطة بالمدينة قبل أن انجح فى الهرب الى انجلترا عن طريق بولاندا ، وكانت هذه الأشهر الثلاثة فترة اخرى للتوسع فى معرفة أساليب هتلر فى محاولته اخضاع الشعب الذى وقع عليه اختياره أو تضليل ذلك الشعب أو مداهنته أو خنقه .

فكانت طريقة الغزو « بالهجوم الداخلى » واحدة فى كل مكان . فالطريق تقود السائر فيها من « سايس انكوارت » فى النمسا ومن « هينلين » و « تيسو » و « توكا » فى تشيكوسلوفاكيا الى « كلاوزن » فى دانيماوك و « كيسلنج » فى نروج — واسم كيسلنج قد أصبح هو الاسم المرادف للخيانة فى خدمة هتلر — إلى « موسيرت » فى هولاندا و « ديجريل » فى بلجيكا .

فعمل هذا الكتاب هو إظهار الطريقة المنسقة التى نفذ بها هذا الاسلوب فى جميع الممالك ، فى تلك الممالك التى أوقعها سوء الحظ فريسة بين يدى هتلر لأنها كانت أعمى من أن ترى الخطر ، أو فى غيرها من الممالك التى كان يجب أن يكون منظر أمة فى الاسر انذارا منبها لها جميعا



— ١ —

سايس - انكوارت

الخائن العلمي

كان دكتور «سايس ـ إنكوارت» النمسوى ، أول رجل فى عصابة الخائنين الممقوتة التى سلمت وطنها لهتلر باسوأ الوسائل الخفية الشريرة ؛ وكان الدور الذى لعبه فى الاسابيع الأخيرة من حياة النمسا المستقلة ، والاسلوب الذى غش به وخان صديقه دكتور شوشنج ، الذى كان رفيقه فى السلاح فى الحرب العظمى ، وصمة تدمغه بالحقارة وتجعله واحدا من اتعس أفراد العصابة الشيطانية التى تتألف منها بطانة هتلر

فقبل يوم ١٢ فبراير ، وهو اليوم الذى زار فيه المستشار النمسوى برختسجادن ، تخلف دكتور سايس ـ إنكوارت بمهارة تامة . وبعد بضع ساعات من عودة دكتور شوشنج من هذه المقابلة التى تقرر فيها مصير النمسا ، ذكر اسم هذا الرجل ، الذى كان معدودا من أقل المحامين شأنا فى فينا ، فى رؤوس أنهر الصحف فى القارات الخمس فقد كان من الشروط التى وضعها هتلر «للتوفيق» بين الريخ الثالث والنمسا ولضمان حرية النمسا واستقلالها ، تعيين دكتور سايس ـ انكوارت وزيرا للداخلية

أجفل دكتور شوشنج عند سماعه هذا الشرط ، فلم يكن

ليخطر على باله مطلقا أن لصديقه الحميم دكتور سايس - إنكوارت مثل هذه المكانة المحترمة والتقدير الكبير عند الفوهرر . فكل انسان فى النمسا كان يعلم العلم كله أن دكتور سايس - انكوارت لم يكن سياسيا كاثوليكيا عاملا فقط ولكنه كان أيضا وطنيا المانيا مخلصا .

ولكن لا دكتور شوشنج ولا غيره من ذوى النفوذ ، كان يعتقد أن لدكتور سايس - انكوارت اية علاقة بحزب النازى غير الشرعى ؛ لا لسبب إلا أنه هو نفسه كان دائما ينكر، فى كثير من الغضب والغيظ ، أية علاقة من هذا القبيل .

وكثيرا ما كرر متظاهراً بالغيظ قوله : « انك تحسبنى نازيا ! إننى لم اكن قط وليس فى نيتى أن أكون أبدا نازياً . فلوطنيتى الالمانية أسس تختلف الاختلاف كله عن أسس النازية »

وحتى فى برختسجادن كان دكتور شوشنج لا يزال يعتقد فى اخلاص صديقه .

فسلم فى الحال برغبة هتلر فى أن يكون دكتور سايس - انكوارت وزيراً للداخلية . ولم يتردد دكتور شوشنج قليلا الا عندما قدم هتلر طلبا آخر هو وضع « ادارة الامن العام » تحت سلطة وزير الداخلية الجديد ، الامر الذى يضع فى يديه السلطة التامة على البوليس ولم يكن تردده راجعاً الى أسباب شخصية ولكن الى أسباب نظرية .

ولكن هتلر قطع هذا التردد فى الحال وسأل شوشنج : « أيمكن ياهر شوشنج أن تكون غير واثق بصديقك دكتور سايس - إنكوارت؟»

فهب دكتور شوشنج مغيظا وأجاب :

« هل بلغت منى ياحضرة مستشار الريخ أقل اشارة تحملك على اقتراض مثل هذا الفرض ؟ »

فابتسم هتلر وقال :

« من المحقق لا ، ياهر شوشنج ، ولكنى إذا وثقت بانسان أعطيته كل شيء »

فسلم دكتور شوشنج بطلب هتلر

ومن المعروف جيدا كيف عاد المستشار النمسوى من برختسجادن الى فينا محطم الاعصاب مكسور النفوس ، وقد كرر له دكتور سايس - إنكوارت عهود الصداقة فى أول اجتماع لهما بعد ذلك .

ووكد دكتور سايس - إنكوارت ان ليس أمامه غير غرض واحد هو تقوية روابط الصداقة النمسوية الألمانية بكل ما فى مقدوره من قوة وذلك لمصلحة وطنه العزيز المستقل ولخدمة النمسا ودكتور شوشنج بكل قوته .

وبعد هذا الحديث قابل وزير الداخلية الجديد أصدقاءه النازى فى مقهى سنترال

فهمس لهم فى لهجة الفوز :

« سننتصر عما قريب . فأعصاب شوشنج فى طريق التحطم بالفعل . فقد قال لى هو نفسه انه الآن يدخن ٧٠ سيجارة فى اليوم »

وبعد أن قال الوزير النمسوى هذه الكلمات فى أسلوبه التهكمى كان أول عمل عمله بعد أن تولى منصبه فى وزارة الداخلية أن سافر الى برلين

لتلقى الأوامر والتعليمات من هتلر مولاه وسيده الحقيقى . ومهما يكن من أمر إنكار دكتور سايس ـ انكوارت عند عودته الى « فينا » انه قد بحث فى برلين فى أية مسألة غير مسألة «تقدير» الصداقة « التسوية الالمانية » فان الاوامر والتعليمات التى تلقاها كانت واضحة باتة . فقد أصدر له الفوهرر أوامره النهائية بالهجوم من الداخل ـ هذه اللعبة الخائنة التى تقصد بها الى جعل النمسا مستعدة لقبول التدخل فالضم. فلم يكن مطلوبا من الوزير النمسوى المسئول، الذى أقسم منذ قليل يمينا مغلظة بالولاء والاخلاص للدولة ، إلا شيء واحد لا أكثر ولا أقل هو تمزيق كيان النمسا السياسى تمزيقا رسميا .

وبعد عودة دكتور سايس ـ انكوارت الى فينا اجتمع مرة أخرى باخلائه . وكانت « مقهى سنترال » فى ساعة شرب القهوة مركزا للمناقشات السياسية . وكانت مائدة دكتور سايس ـ انكوارت وشركائه المقربين قائمة فى الغرفة الضئيلة الضوء الواقعة فى نهاية المقهى الداخلى والتى كان يكثر التردد عليها عادة لاعبو الشطرنج :

وطبيعى لم يكن هؤلاء الشركاء هم الاعضاء المعروفون جيدا من جماعة النازى غير الشرعية الذين قدموا التضحيات فى سبيل مبادئهم ؛ ولكنهم كانوا رجالا يتساوون مع «وزيرهم» فى حقارة احساساتهم ـ كانوا من الموظفين والمحامين والاطباء الذين كانوا أهلا لاخفاء عواطفهم النازية ، وكانوا بذلك أقدر على النشاط فى التآمر والعمل فى الظلام على تقويض استقلال بلادهم .

أعطى دكتور سايس ـ انكوارت جوازات سفر مزورة لآلاف الأعداء أيضا من القتلة والارهابيين الذين حكمت عليهم المحاكم النمسوية منذ أعوام عديدة بالاعدام، ولكنهم استطاعوا أن يهربوا الى المانيا. فظهر على حين فجأة فى شوارع «فينا» و«جراتز» و«انسبروك» رجال ممن اذيعت نشرات البحث عنهم لوقوعهم تحت العقوبة الاعدام لارتكابهم جرائم قتل وحشية. ولكن البوليس كان عاجزا عن أن يرفع يده فى وجوههم.

فاذا عرف أحد رجال البوليس رجلا من هؤلاء. وقال له:

«انت هر جلو بوتشنيج قاتل الجوهرى «فوتر وايز» أخرج هذا من جيبه جواز سفر جديد جدا وقال:

«انت مخطىء. فأنا هر موللر، ولست أعرف من هو هر جلو بوتشنيج الذى تعنيه»

وفى ساعة متأخرة من الليل فى غرفة خلفية بفندق رجينا يجتمع دكتور سايس انكوارت بالقاتل جلو بوتشنج الذى سمى نفسه موللر وبكثيرين غيره من أمثاله ـ وكانت هذه الساعات ساعات توتر عصبى فلم يكن من المستحيل أن يعثر البوليس فى ليلة من الليالى على المتآمرين فى اجتماعهم السرى فيقبض على رئيسه نفسه الذى كان يدبر الانقلاب الدموى. وكان دكتور سايس ـ انكورات غير غافل عن هذا الخطر الذى يهدده. ولقد اعترف هو نفسه، فيما بعد بأنه فى اجتماعات زعماء الطابور الخامس هذه، كان يشعر غالبا بأن أعصابه تكاد تخونه وكان لكى يحتفظ بشجاعته يهمس بأغنية «هورست فيسل» التى

حرمها هو نفسه على الناس .

وكان دكتور سايس ـ انكوارت يدعي في الظاهر أنه قد أخذ على غرة بالثورة العامة التي حركها الاشتراكيون الوطنيون طلباً للانقلاب الدموي . ولم يكن من الصعب كبح حركة النازي ، الذين كانوا جبناء القلوب، في الحدود التي طالما أبى اسلاف الوزير أن يعتدوا عليها بالقوة. ولكن يجب ألا ننسى أن الرجل قد تلقى من هتلر أوامر معجلة بأن يمهد الطريق للانقلاب الدموي ، وأنه استباح لنفسه على الاستمرار أن يؤخذ على غرة . وفي ٣ مارس كان الوزير في « جراتز » عاصمة « استيريا » مركز المظاهرات المشاغبة المحرمة

وكان قد ذهب اليها بأمر من دكتور شوشنج أن يحمل المتظاهرين على الركون الى الهدوء ، فلما وصل اليها مر أمامه في عرض عسكري عشرون الفاً من جنود العاصفة والحرس الاسود من أبناء استيريا وكانوا يسيرون في خطوة الاوزة المعروفة حاملين الصليب المعقوف والاعلام .

ولما وصل الوزير الى « جراتز » ـ وكان المفروض أن تكون زيارته لها سرية ـ أصدر للبوليس أوامر مشددة بأن يوجهوا نظر النازي ، في أشد عبارات التنبيه، الى الامر الصادر بتحريم المظاهرات . وبعد ساعة من صدور هذه الاوامر سار عشرون ألفا من الحرس الاسود وجنود العاصفة في ملابسهم الرسمية المحرمة حاملين أعلام الصليب المعقوف والمشاعل ، أمام بيت البروفسور « داريه » زعيم حزب النازي في جراتز حيث كان دكتور سايس ـ انكوارت مقيما ـ وصاحت هذه الوحدات

غير الشرعية من الحرس الاسود وجنود العاصفة : « يعيش هتلر » ويعيش سايس ـ انكوارت ، وتكريما للوزير النمسوى أنشدوا أغنية « هورست فيسل » وهى التى تدحرمت ، على ماقدمنا ، فى جميع أرجاء النمسا . وعلى هذا لم يصدر وزير البوليس أوامره للبوليس باتخاذ أى إجراء ضد المتظاهرين ، ولكنه وقف فى النافذة نرفع يده وأجاب المتظاهرين بالتحية الهتلرية .

وبعد ساعة وزع زعماء النازى على السكان منشورات دعوهم فيها الى رفع الاعلام فى جميع أرجاء المدينة من الساعة الثامنة صباحا الى الساعة الخامسة مساء تكريما لسايس ـ انكوارت مبعوث زعيمنا ادولف هتلر » . ولم ينطق سايس انكوارت مبعوث دكتور شوشنج بكلمة اعتراض على هذا الكلام .

* * *

ودكتور جيدو شمدت الذى كان منذ سنة ١٩٣٦ وكيل دكتور شوشنج فى ادارة سياسة النمسا الخارجية هو الذى نصح لدكتور شوشنج تلك النصيحة القاتلة التى طلب منه فيها مقابلة هتلر قائلا له : « اذهب الى برختسجادن . اذهب اليها مهما كلفك الامر ! »

ولم ينقطع جيدو تط عن تصوير هذه الرحلة فى صورة ضرورة لاغنى عنها . وكان دكتور شوشنج يثق بوزير خارجيته . وكان شمدت أيضا صديقا شخصيا للمستشار . نقد كانا طالبين معا فى اكبر مدارس النمسا الكاثوليكية سمعة ، كلية الجزويت « استلاماتوتينا » فى « فلدكيرش »

ومرن كلا الرجلين هناك على روح الجامعة الكاثوليكية . كذلك تمتع دكتور شمدت بالرعاية الخاصة من الرئيس ميكلاس، الذى كان هو رئيسا لمكتبه، الى أن احتفظ به دكتور شوشنج ليكون ألصق اشتراكا به فى العمل . وكانت أولى ثمرات هذا الاشتراك أن بذل دكتور جيدو الجهد الشديد فى توجيه سياسة النمسا الخارجية، وجهة كانت ميولها التى تزداد كل يوم تقربا من الالمان واضحة لايخطئها أحد على الرغم من فطنة الرجل وحذره فى ادارة دفة سياسية .

ولم يصطدم دكتور جيدو فى هذه السياسة أول الامر بأية معارضة من المستشار، لأن شوشنج أيضا، وهو من أبناء التيرول، كان من محبي الجنس الالمانى والثقافة الالمانية . على أن حب شوشنج هذا كان مع ذلك غير متصل بالاشتراكية الوطنية . أما دكتور جيدو فعلى العكس من ذلك، كان على الرغم من اتحاد النشأة بينه وبين المستشار ، وعلى الرغم من صداقته لشوشنج ومن الكره الشديد الذى يكنه الرئيس ميكلاس لهتلر، على استعداد دائم للاتفاق مع الاشتراكية الوطنية .

وكان دكتور شمدت محبا لان يلف نفسه فى معطف « عدم التدخل » وهو ولو أنه قد سعى لان يزيد سياسة النمسا ارتباطا بسياسة الريخ الثالث إلا انه لم يتخلف قط عن حضور أى اجتماع يعقده « الشيوخ العظام » الذين تتألف منهم جماعات اتحاد الطلبة الكاثوليك المنسوبين القوية ، التى كانت تضم بين صفوفها فريقا من أصلب معارضى الاشتراكية الوطنية عودا . فكانت عية دكتور شمدت الدبلوماتية من الوقت الذى

استسلم فيه لمراوضة هرفون بابن هي ان يحمل دكتور شوشنج على زيارة برختسجادن ومقابلة هتلر .

كان هرفون بابن كاثوليكيا وكذلك كان دكتور جيدو شمدت . فكان من المستحيل حقا على دكتور فون شوشنج ابن دينهما أن يصدق أن كاثوليكيين متدينين كانا يخدعانه عندما الحا عليه فى أن يتغلب على هواجسه الباطنية وأن يقبل دعوة هتلر لزيارة برختسجادن ؟

* * *

وكان ثالث الكيسلنجيين النمسويين البارزين هو جنرال جلايز - هورستيناو . وقد وصف اوجين لينهوف فى كتابه « خمس الساعات الاخيرة فى حياة النمسا » هذه الشخصية المنحوسة فى العبارات الآتية :

« عرفت هر جلايز هورستيناو فى مركز القيادة العامة فى « برس » فى أثناء الحرب ، عندما كان كولونيلا فى هيئة أركان الحرب العامة للنمسا والمجر . وهو مثل هتلر قد ولد فى براوناو على نهر « الان » ولو أن أبويه كانا من طبقة اجتماعية أعلى من طبقة أبوى مستشار الريخ ورئيسه . وكانت مهمته فى هيئة أركان الحرب كتابة مسودة البلاغات التى تذيعها هيئة أركان الحرب العامة . وقد كتب فيما بعد كتبا نصف علمية فى التاريخ . واذ كان مخلصا لليمين العسكرية التى أقسم بها ، كما كان مخلصا لتقاليد أسرته ، فقد وصف فى أحد هذه الكتب فى عبارات يبدو عليها الحزن والاسى كيف تقدمت الامبراطورية النمسوية المجرية فى طريق الانهيار النهائى .

« وكان جلايز - هورستيناو فى الاصل امبراطوريا متعصبا ،

للامبراطورية ، ولكنه الى جانب تحمسه الشديد فى تأييد بنت هابسبرج كان أيضا كاثوليكيا متعصبا، ولكن حدث ذات صباح بعد رحلة رحلها الى برلين ، ان استيقظ فوجد نفسه نازيا شديد التحمس للنازية ، وكان عضواً فى نادى « هيرنكلوب » الذائع السمعة ، الذى ترأسه فون بابن أيام كان مستشاراً للدولة ، وقد لعب جلايز هورستيناو دوراً حاسما فى اتمام ماسمى « صلحا » بين ألمانيا والنمسا فى ١١ يوليه سنة ١٩٣٦ ، وما كان هذا الصلح فى الواقع الا المقدمه الحقيقية لنكبة « النمسا الجديدة »

* * *

وفى مأساة ١١ مارس عندما اختفت النمسا من بين الامم المستقلة لعب الوزيران سايس ـ انكوارت وجنرال جلايز هورستيناو الدور الحاسم بتقديمهما الى دكتور شوشنج الانذار النهائى بأن يلغى الاستفتاء العام الذى كان محددا له يوم ١٣ مارس، وهو الاستفتاء الذى لو تم لاظهر العالم كله أن الاغلبية العظمى من النمسويين معارضة للنازية .

وحتى فى هذه اللحظة الحرجة أثبت الرجلان جبنهما . فقد خشيا أن يأمر دكتور شوشنج ، فى نوبة نشاط مفاجىء ، باعتقالهما — لذلك اختفيا فى غرفة خلفية باحدى المقاهى ، وطبيعى انها لم تكن مقهى « سنترال » — المعرضة للتفتيش قبل أى مكان آخر — ولكن فى « هيرنوف » ، التى لم يتعودا التردد عليها كثيرا .

وفيما يلى النص الحرفى لتقرير نازى رسمى عن « اختفاء » هذين الوزيرين بعد تسليمهما الانذار لدكتور شوشنج :

« بعد ان غادر سايس ـ انكوارت وجلايز هورستيناو مكتب المستشار انسحبا الى مقهى يملكها أحد أصدقائهما من الاشتراكيين الوطنيين وكان الرسل يجيئونهما من وقت لوقت بآخر المعلومات عن الحالة فى مكتب المستشار . وكانت سيارة سايس — انكوارت واقفة على بعد بضعة شوارع حتى لا يكتشف مكان الاجتماع .

« وكان الناظر من احدى النوافذ يستطيع أن يرى الذاهبين والوافدين على المعسكر العام للجبهة الوطنية وقد بدت عليهم أمارات الاهتمام والقلق . وكانت سيارات اللورى المرسوم عليها شعار الجبهة الوطنية تروح وتجيء وسط الميدان المحتشد بالجماهير الهاتفة وكان راكبو هذه السيارات يحيون المارة بأيديهم منقبضة وهتافهم « يعيش شوشنج » يدوى فى الجو على الاستمرار

« فقال أحد الرجال : ما أشبه هذا بنوفمبر سنة ١٩١٨ ، لقد تأخرنا فى اتخاذ خطواتنا »

« واندفع أحد وكلاء سايس — المقربين إلى الغرفة وقد بدا عليه الاضطراب الشديد وصاح :

« لقد أصدر مكتب المستشار فى هذه اللحظة أمراً بالقبض على سايس انكوارت وجلايز — هورستيناو »

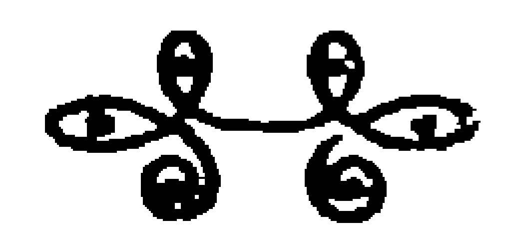
« ونظر أحدهم الى هذا القادم نظرة استفهام فأجاب عليها بقوله

— عرفت ذلك من مركز البوليس العام —

« وعلى الرغم من أن سايس ـ انكوارت كان يعلم أنه لم يصدر مثل

هذا الامر فأنه أصدر الامر الآتى : ـ يجب نقل جميع المستندات من البيوت الخاصة والمكاتب . ويجب نقل رياسة فرق الهجوم والحرس الأسود الى الاماكن المعدة لهم خارج المدينة

ثم قال الوزير: من الاحسن لنا الآن أن نختفى. فمن الضرورى أن نكسب بضع ساعات من الوقت . فليس أسهل عليهم من أن يعثروا علينا فى مقهى كهذا . وفوق ذلك لا أريد أن أبدأ المفاوضات على جوع . وما من شك فى أن شوشنج لم يتغذ بغير تدخين السجاير ـ »



— ٢ —

كونراد هينلين

حائر قبر أوربا الوسطى

كونراد هينلين ، الذى يسمى « زعيم الالمان السوديت » ، اكتسب لنفسه ، فى نظر البلدان الاجنبية ، مركزاً خاصا جداً بين الخونة الذين يستخدمهم هتلر . ففى اللحظة نفسها التى كان فيها الجنود الالمانيون بالتعاون مع فيدكون كيسلنج ، يندفعون إلى داخل نروج ، بدأت على صفحات جريدة من أحسن الجرائد الهولاندية سمعة هى جريدة « امستردام تلغراف » مناقشة فيما إذا كان كونراد هينلين يجب أو لا يجب أن يوضع فى فصيلة كيسلنج . فتقرر لمصلحة كونراد هينلين أنه كانت فى تشيكوسلوفاكيا مسألة ألمانية وأنه فى مدى عشرين سنة لم تستطع حكومة تشيكوسلوفاكيا أن تصل إلى تفاهم مع الالمان السوديت وقد حدث فى أثناء المناقشة التاريخية، فى مجلس النواب البريطانى التى أدت إلى سقوط تشامبرلين ، أن وجه المحترم لويد جورج إلى دكتور أدوارد بنيش الرئيس السابق لجمهورية تشيكوسلوفاكيا تهمة حرمان الالمان السوديت الحقوق التى وعدهم بها ، فهيأ بذلك لهتلر فرصة المطالبة بضم منطقة السوديت الى المانيا. ولكن لويد جورج ختم ملاحظاته بتوكيده

أن الدول العظمى بدماجها بالقضاء على تشيكوسلوفاكيا قد فقدت حليفا عسكريا عظيم الشأن، وأدلى بوصف مؤثر للاحتمالات الحربية الجليلة الخطر التى كانت تنتظر من تشكوسلوفاكيا فى نطاق حدودها السابقة. ولقد برهنت الحوادث التى اعقبت سقوط تشيكوسلوفاكيا، فى وضوح تام، على أن هتلر الذى كان يحلم بحكم العالم كله لم يكن ليهتم الا قليلا بمسألة الالمان السوديت.

والحق إنما الجنون المطبق المصاب بههذا الرجل وليد «براوناو» ليظهر نفسه فى كلامه عن القارات وحتى عن الوجود كله، ولو انه نشأت فرصة لتضحية الالمان السوديت لضحى بهم حول ريشنبرج وايجر وآش بمثل الهدوء الذى تخلى به عن الالمان فى التيرول الجنوبى وفى مناطق البلطيق.

وقبل وصول هتلر الى الحكم لم تكن هناك «مسألة ألمان السوديت» وكيف كان يمكن ان تتخذ هذه المسألة شكلا خطرا فى حين انه الى اللحظة التى قرر فيها هتلر ان يبيد تشيكوسلوفاكيا ليبدأ حربه على جميع الدول المستقلة فى اوروبا، كان كونراد هينلاين نفسه يصرح بأن الالمان السوديت يستطيعون ويجب أن يتمتعوا بالسعادة فى داخل الجمهورية التشيكوسلوفاكية فقط ؟..

على أن معلم التمرينات الرياضية السابق المولود فى «آش» البلدة الصناعية الصغيرة فى بوهيميا العليا بجوار الحدود الالمانية، لم يلبث أن وجد نفسه على حين فجأة وقد ترقى الى أداة سياسية، من أدوات هتلر،

وقد ظهر فى لندن فى أوائل شهر ديسمبر سنة ١٩٣٥ وبدأ أولى محاولاته فى السياسة الدولية . وما من شك فى أن « التصور السياسى » الناقص الذى فى تام رأس ذلك الرجل، وتربته السياسية والعامة البسيطة ما كانا ليمكناه من أن يترقى ويبدى آراء أو خططا سياسية من عند نفسه . ولكن منذ أصبح هينلين بفلتة غير مفهومة من فلتات الحظ ، واحدا من قراقوزات هتلر ، انطلق فمه بتيار غير منقطع من أكاذيب هتلر ووعوده الباطلة لحمل العالم على الاستكانة للسلامة الوقت الذى يرى الفوهرر أنه ضرورى له .

فماذا كان يدور فى رأس ذلك المعلم وليد آش عندما صرح فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٣٥ أمام جمع سياسى كبير فى « المعهد الملكى للشئون الدولية » بلندن ، بأنه لم يكن قط على اتصال بهتلر ، وليس له فى الواقع أية علاقة به على الاطلاق ؟

ماذا كانت آراؤه ؟ الحق انه قد كذب ! لقد كذب عندما قال : « لا رغبة لنا إلا فى الحصول على الحقوق التى وعدنا بها فى — معاهدة الاقليات — والتى وكدها دستور الدولة التشيكوسلوفاكيه . »

هذه الكلمات نطق بها الرجل نفسه الذى تطوع مع غيره من زعماء الالمان السوديت الاشتراكيين الوطنيين ، بعد دخول هتلر براغ فى ١٥ مارس سنة ١٩٣٩ ، بلعب دور رئيسى فى تحقير التشك واخضاعهم .

ويشبه كونراد هينلين كل الشبه من الناحية الاخلاقية مماثله فى الطراز سايس — انكوارت النمسوى . ويشترك كلاهما ولكن بدرجة ظاهرة جدا فى الخاصية التى عرف بها جميع الكويسلنجيين، وهى التظاهر بالامانة

التي لا تثير أي شك في تنزههم عن الشر ، وما هي الا قناع يخفي وراءه استعدادا ، لا يصدقه العقل ، للتزوير والخداع .

كان هينلاين يواجه جمهورية ما زاريك وبنيش بانكار متصلب لوجودها . وكان الغرض الذي يرمي اليه من أول الامر هو فصل ألمان السوديت عن تشيكوسلوفاكيا وضمهم الى ريخ هتلر . ولكنه كان شديد الحذر من أن يظهر ذلك علنا . وقد أراد ، مهما يكن من أمر ، أن يقي حزبه من أن يكون مصيره مصير تنظيمات ألمان السوديت النازية القديمة التي لم تتردد في اخفاء اغراضها . وكان ظاهرا أن حزب هينلاين لم يكن غير بديل من التنظيمات السابقة ، وبدل أن يلبس اعضاؤه القمصان الرمادية التي يلبسها جنود العاصفة الهتلريون لبسوا قمصانا بيضاء . وكان معلم الالعاب الرياضية السابق حريصا كل الحرص على انكار كل علاقة له بالريخ الثالث ، كما كان على علم بأن التظاهر بالولاء المطلق في الحاضر هو وحده الذي يمكنه من الخيانة التي اعتزمها في المستقبل ، وكان كذلك عارفا بان مظهر « الولاء » هو الذي يمكنه من أن يخفي أغراضه النهائية .

وكان الشعور الذي ساد عددا كبيرا من الصحفيين ، وأنا من بينهم ، على أثر مؤتمر صحفي عقده كونراد هينلاين ، لأول مرة خارج دائرة أصدقائه المقربين ، في ٨ اكتوبر سنة ١٩٣٣ ، هو أن الرجل « مائة في المائة وطني ألماني ولكنه في الوقت نفسه من رعايا سلوفاكيا المخلصين » وكان الاجتماع قد عقد داخل غرفة في « بلاور استرن » ، وهو فندق في براغ كان قد أشير منذ سنوات بهدمه ليحل محله البناء الجديد للمصرف

السلوفاكى « زيفنو ستنسكا بانكا »

ولم يكن فى مظهر الرجل الخارجى ما يدل على أن له طبيعة الزعيم . فمن أية ناحية نظرت اليه لم تتبين فيه غير سمة الرجل العادى ، الرجل الذى يمكن أن يوجد بين أى جمهور تشيكوسلوفاكى ، سواء من التشيكيين أو الالمان ، كان منظره هو المنظر المثالى لصغار الموظفين الذين كان هو واحداً منهم قبل أن يشتغل معلما للالعاب الرياضية . كان وجهه من الوجوه الساذجة التى لا يظهر عليها ما ينم عن الشر ، ليس فى تقاسيمه ما يستوقف النظر ، أما جسمه فيدل على أثر التمرينات الرياضية الالمانية ، وفى الجملة لم يكن فى مجموعه ما يمكن تمييزه ، فقد كان يبدو أصغر سنا من الحقيقة ، وكان يضع على عينيه منظارا مما يضع العقلاء المثقفون كأنما يريد أن يضفى على نفسه صفة خاصة مميزة ، وقد يحدث مراراً أن يشعر الانسان شعوراً تاما ، عند ما يقابل المانيا وجها لوجه بان هذا الالمانى من حزب النازى — لالأن عليه مسحة «جنسية» أو بيولوجية خاصة (ومن العبث أن يبحث الانسان فى هينلين عن شىء من هذا القبيل) ولكن لان سمة العدوان والغضب بادية عليه فى وضوح يسترعى النظر .

كان هينلين ، الذى تربى فى مدارس الاشتراكية الوطنية ، ينكر جميع علاقاته ببرلين ، وكان يوكد فى كل مناسبة ان مسألة الاقلية الالمانية فى تشيكوسلوفاكيا انما هى مسألة من مسائل السياسة الداخلية الخالصة فى تلك الدولة ، وان كلا من الامتين الالمانية والتشكية مسؤول

عن تأخر حل هذه المسألة كل ذلك الوقت الطويل .

وكان يعلن فى لهجة الوثوق : ان كلا الطرفين قد ارتكب أغلاطا ولو أن الانسان وجد من نفسه ميلا لأن يصدق كلام هينلين لاضطر الى الاقتناع بانه معارض معارضة نهائية حاسمة لبرنامج هتلر الذى يقضى بتوحيد جميع الالمانيين فى « المانيا الكبرى » ولكن هل كان من الممكن ان يصدقه إنسان ؟ كان هذا هو السؤال الذى يتردد فى رؤوس جميع الذين درسوا مسألة الالمان السوديت. ومن المحقق انه قد عمل كل ما استطاع عمله ليحمل الناس على الاعتقاد فى اخلاصه ، ولم يحاول فقط ان يكسب ثقة التشيك ولكنه ذهب أيضا الى الخارج لكى ينشر عدالة رأيه واعتداله على أكبر عدد ممكن من الجماهير

وليس كونراد ـ هينلين وسايس ـ انكوارت بحال من الأحوال ممن تصفهم أبحاث هتلر بأنهم سلالة دم المانى خالص . فكلاهما خليط من التشيك والألمان . فقد ولد سايس ـ انكوارت فى اجلاو ، بلدة صغيرة فى تشيكوسلوفاكيا . وكان اجداده يسمون أنفسهم « زاجيك » وهى كلمة تشيكية معناها الأرنب البرى . وأم كونراد ـ هينلين تشيكية اسمها العائلى «دفوراكوفا». والأمر لا يتطلب كثيرا من علم النفس لكى يعرف الانسان لماذا قوبلت نظريات هتلر الاجتماعية بالحماسة الشديدة فى المانيا السوديتية . فاغلب الالمانيين فى تشيكو سلوفاكيا من عنصر مختلط . واسماؤهم فى الغالب اسماء تشيكية مصوغة فى قالب المانى . وليس من المعروف بالقدر الكافى فى ارجاء العالم ان المهد الفعلى لذلك الوحش

الذى يسمى « الهتلرية » و « الفلسفة الاشتراكية الوطنية للحياة » كان بلدة «إيجر» وهى بلدة المانية سوديتية كانت المعسكر الرئيسى لما كان يسمى « حركة الجامعة الجرمانية » فى أيام الامبراطورية النمسوية القديمة . وكان بطل هذه الجامعة الجرمانية هو بسمارك ، وكان عفريتهم اليهود . وكان من « ايجر » أن نشر زعيم الألمان السوديت السابق شونيرر وايرو فكرة معاداة السامية فى ظل الامبراطورية النمسوية المجرية .

والحوادث التاريخية التى أدت الى فصل الاراضى السوديتيه والى القضاء على تشيكوسلوفاكيا معروفة جيدا عند الناس بانها خطط هتلر . وبعد احتلال النمسا أصبح مركز تشيكوسلوفاكيا حرجا جدا من الوجهة العسكرية . وبدأ هتلر يضايق هذه الدولة السيئة الحظ بأن يسميها « شوكة بلشفية فى جسم المانيا » .

وفى ذلك الوقت لم يكن يخطر مطلقا على بال أحد فى الغرب ، فى باريس أو لندن ، أى احتمال لتحالف يتم بين هتلر وستالين فى المستقبل القريب . وواضع هذا الكتاب لا يعد الرأى الذى أبداه فى جريدة « درمونتاج » فى براغ سنة ١٩٣٨ وليد هبة تنبؤية خاصة به ، ولكنه يرى فيه دليلا على أنه أعرف باخلاق هتلر ونيات الاشتراكية الوطنية ، وذلك الرأى هو الذى قال فيه انه من المحقق أن المانيا الهتلرية وروسيا البلشفية ستصبحان حليفتين يوما ما على الرغم من جميع الشتائم التى مابرح هتلر يصبها على رأس البلشفية منذ سنوات . ولقد كنت أنا وحدى المقتنع بهذا الرأى . الأمر الذى جلب لى عداوة هينلين العنيفة . وكان

الجزء الاكبر من اوربا لا يزال فى ذلك الوقت ينظر إلى هتلر على أنه « المنقذ من البلشفية »

ولكى ندرك كيف كان يهم هتلر جدا أن تزول تشيكو سلافيا من خريطة اوربا يجب أن نعود إلى الفصول الأولى من تاريخ الحرب. فنرجع إلى مسرح القتال فى فرنسا وبلجيكا وهولاندا ثم نتراجع إلى نروج ودانيمارك ثم الى اجتياح بولاندا، فلكى يركع هتلر بولاندا على ركبها كان لابد له من اقامة مظاهرة عسكرية فى سلوفاكيا. وقد أدى ذلك إلى ضرورة تحطيم الجمهورية الثانية المصغرة. فأى عذر قدمه هتلر من اخضاعه هذه الدولة المعذبة اخضاعا تاما وسلبه التشك حريتهم سلبا نهائيا؟ لم يكن لديه أى عذر من ذلك على انه لم يجهد نفسه فى البحث عن عذر ما. ففى ذلك الوقت كانت المانيا قد أكملت إعادة تسلحها المنذر بالشر. فلم يعد هتلر يتردد أو يحفل حيال اشعال النار فى العالم كله. فألقى قفازه فى وجه العالم. فوقف موقعو اتفاق ميونيخ موقف السخرية. ثم زحف على براغ بعد ان قدر جميع الظروف المحتملة.

ومع ذلك فقد بحث عن بعض الاعذار التى يبرر بها عمله، فجاءته هذه الاعذار على أيدى « كيسلنجييه » الجدد. فقد كان فى سلوفاكيا بعض الخونة المستعدين لان يطعنوا اخوانهم التشك فى ظهورهم.

وأكبر هؤلاء الكيسلنجيين السلوفاك شأنا هم: تيسو وتوكا ودورشانسكى وماتش. كذلك وجد هتلر كيسلنجيين فى الركن الشرقى من تشيكوسلوفاكيا الذى يسمى « كارباتو — اوكراين »، وهؤلاء هم فولوشين وبرودى وريفاى

بارون برودى

الكيسلنجيون فى سلوفاكيا وفى الكربات

فى ترنشترن-تبلتز ، وهى بلدة من بلدان المياه المعدنية فى سلوفاكيا كان الانجليز يترددون عليها كثيرا فى الايام الماضية، فندق معروف بجودة مطبخه . وكان صاحب الفندق ، وهو شيخ كبير كثيرا ما ساح فى البلاد المختلفة . يسره دائما أن يسمع ثناء الاكولين ويشرح كيف أن إلهة الطبخ لا بد أن تكون قد أمدته برعايتها . وكان يرى لزاما عليه أن يقول : « ان ترنشترن - تبلتز وضواحيها المباشرة هى النقطة المركزية لعدد من المراعى القديمة . وفينا بلحم العجول الخاص الذى عرفت به ليست بعيدة من هنا، وبراغ المعروفة بفطيرها الجيد قريبة هى الاخرى منا ، وأطلق بودابست ذائعة الصيت ببهارها ليست كذلك بعيدة جدا . وأما فيما يتصل بالقهوة السوداء التى امتدحتموها فى هذه اللحظة فيجب ألا تنسوا أنه من خمسة أجيال فقط كان يعيش هنا أحد الباشوات الاتراك»

وكان هذا الشيخ المحترم يحتفظ فى ذاكرته بصورة من سلوفاكيا عندما كانت لا تزال تابعة للمجر . وفى ذلك الوقت لم يكن السباق حول الارض أو تسلق الجبال قد اكتشف ، وكانت جبال تاترا ، وهى سلسلة من الجبال العالية الوعرة فى شمال غاليسيا البولاندية

الآن ، لاتزال منطقة غير مرتادة تابعة لبعض حكام الاقطاعيات . وكانت الدبب كثيرة الوجود فى هذه الجبال . وكانت تنزل الى القرى من حين الى حين ، وهى حيوانات ضخمة تعيش فى الغابة المجهولة . وكانت النسور تبنى أعشاشها فوق مرتفعات لومنتزر وجيرلاخر اسبتز وكانت تحمل اليها الخراف الصغيرة من الحقول ، وكان التيتل يعيش فى تجوات محتبئة . وكانت حقول الغلال التى لأحد لها تمتد فى السهول فى اتجاه نهر الدانوب. وفى حرارة المناطق الواطية كان يرى الانسان كروم العنب وقد نضج حبها . وقد اعتاد الفلاحون هناك ان يحيوا لياليهم بالنفخ فى موسيقى القرب وهى آلة موسيقية لم يحتفظ بها فى غير اسكوتلاندا وعند أهل سافوى فى جنوب فرنسا . والمنظر العام فى سلوفاكيا أشبه ما يكون بمنظر اسكوتلاندا وسافوى — وهما ركنان من أركان العالم يبعد أحدهما عن الآخر بعدا شاسعا . ووجه الشبه باسكتلاندا قائم فى جلال الجبال العالية والبحيرات — « اعين البحر » المرتفعة فى الجبال. ووجه الشبه بسافوى قائم فى الشمس وفى أسلوب الحياة التافه الوديع الذى تقتضيه حالة الفقر هناك

سلوفاكيا! لقد كان قليلون من مؤلفى كتب السياحة والسياسة هم الذين وجهوا الانظار ، فى نهاية القرن الماضى ، الى السلوفاكيين وكتبوا عنهم، أمثال بجرنستيرن وبجورنسن وسيتون واطسون الذى جعل شغله الشاغل توجيه نظر أوربا الى الأمم السلافية الصغيرة فى الشرق ، تلك الامم التى نسيها العالم . وكانت سلوفاكيا منذ عهد طويل ، وفى الواقع الى نهاية

الحرب العظمى ، مشاراً اليها على الخريطة كمناطق تكاد تكون مجهولة لم يرتدها أحد . فأى شيء كان يعرفه العالم عنها ؟ لا شيء الا أن نجومها تضيء فى الليل ، وان نواقيس قراها الصغيرة تدق فى المساء . أما النهار فليس فيه غير الشمس المحرقة. وكان السكوت فيما يتصل بهذا الموضوع من الامور المحتفظ بها جدا فى بودابست العاصمة . ولم يكن الأمر يقتضى غير جيلين آخرين أو ثلاثة أجيال حتى لا تبقى من سلوفاكيا غير ذكرى محزنة لأمة سلافية صغيرة ظهرت فى المجر . ولم يكن للسلوفاكيين فى تلك الايام مدارس خاصة بهم، وكان كل طفل يتعلم اللغة المجرية الى جانب لغته الاصلية ، وكان ارستقراطيو المجر الاغنياء من استرهازيين وبالفيين وتزاباريين وكارولين وتشاكيسيين وجمهور آخر غير هؤلاء ، اذا جاءوا من قصورهم فى بودابست لزيارة ضياعهم الشاسعة الارجاء فى سلوفاكيا، وقف لهم الفلاحون السلوفاكيون محني الظهور ممسكين قبعاتهم بأيديهم فى خضوع وذلة، فى حين تزدحم نساؤهم لتقبيل ايدى « ساداتهم »

واذا كان لابد أن نروى قصة دورشانسكى وكيف صعد على حين فجأة من محام ريفى فى سلوفاكيا الى وزير فى مارس سنة ١٩٣٩ ، وكيف أن هذا الرجل الذى كان فى صباه لاشيء أكثر من غلام حافى القدمين يرعى الاوز ، قد أصبح مالك أراض كثيرة وبيوت وصحف ، وأن نروى كيف أن اندرياز برودى ، من ابناء أوزهورود ، قد استيقظ يوما فوجد نفسه رئيسا لوزارة حكومة الكاربات ، فكانت قصته أشبه بالقصص الخيالية، إذ أصبح بارونا يحمل فى يديه كيسا من الذهب اذن يكون

من الضرورى أن نتقدم بهذا البيان سواء فيما يتصل بالجغرافيا أو بالتاريخ :

يرجع الى سنة ١٩٣٧ ظهور اهتمام غريب فى المانيا بسلوفاكيا وروثينيا . فقد تلقى مكتب الرحلات أوامر باعداد تذاكر رحلة دورية تشمل درسدن وبراغ وبراتيسلافا وكوشيس واوزهوررود وجاسينا . وما كان الطلبة الالمانيون وفرق الشباب الهتلرى ليستطيعوا العثور فجاءة على أماكن تشبع شهوة التجول فى نفوسهم خيرا من غابات التاترا وروثينيا . فقد كانوا يهتمون اهتماما شديدا بجميع التفصيلات الخاصة بعلم أصول السلالات البشرية ومميزاتها وتفرقها

والحق أن سلوفاكيا الشرقية وروثينيا تحتويان على معالم شائقة تستحق الدرس . وأهلها مؤلفون من السلوفاك وقليل من البولنديين والروسيين المنعزلين ، الذين كانوا يسمون أحيانا اوكرانيين وأحيانا روثانيين . وكانت اثنتى عشرة عقيدة مختلفة تمزق جسم هذ الخليط من الشعوب ، الذى كان جزء كبير منه ، قد يبلغ الخمس ، يهودا : يهودا من جميع الاصناف من متدينين ومتدينين جدا ومتشددين فى تعصبهم ومن أحرار ومستهترين ومن متكلمين كل لغة وكل لهجة ممن يلبسون الملابس الدينية والملابس العصرية .

وأصبحت روثينيا — أو اوكرانيا الكرباتيه ، كما كان يسميها الالمان — مركزا للسياحه متفوقا على سواه . وقد دهش أصحاب الحوانيت الاوكرانيون واليهود فى جاسينا الواقعة فى الطرف النهائى من اوكرانيا الكرباتية ، والتى تكاد حقا أن تكون فى آخر الدنيا ، دهشة

شديدة لكثرة عدد السائحين الذين جاءوا الى هناك من ألمانيا الهتلريه . فلماذا جاءوا الى جاسينا؟وبعد اتفاق ميونيخ فى سبتمبر سنة١٩٣٨ ازداد سيل السائحين .

ولما كانت أوربا الوسطى قد أضيفت بهذا علنا الى ما يسمى المجال الحيوى لالمانيا ، فقد بدأ «الخبراء» فى الوصول اليها ، وكان المظنون على وجه العموم أنهم من رجال الزراعة والمهندسين والجيولوجيين ولكنهم كانوا فى الواقع وكلاء سياسيين وجواسيس ورسلا للتحرش . وقد جاءوا معهم بالمال الكثير لانفاقه فى هذه المقاطعة.وكانت السيارات التى يركبونها ساطعة الالوان تذهل النظر . فكان زوار مقهى« كورونا » فى « أوزهورود » الذين يستطيعون أن يقرأوا ، الى حد ما ، الصحف الالمانية أو الفرنسوية يجدون أمامهم البرهان العملى على أن الاشاعات القائلة بقلة المواد الاولية فى ألمانيا ليست إلا مجرد دعاوة ضد هتلر . فالمواد الاولية الجديدة ومطاط عجل السيارات الجديد والمواد البديلة من النيكل كل ذلك كان من أعلى الانواع. وعلى حين فجأة أصبح «الزراعيون والمهندسون والجيولوجيون » الالمان وهم يتوددون التودد كله مع الجميع حتى اليهود . وكانوا يسمحون الأهالى بأن يتحسسوا سياراتهم ويفحصوها ويجربوها .

وكانت مدينة «اوزهورود » عاصمة روثينيا — وقد عادت فاتخذت اسمها المجرى «اونجهفار» — قد نمت تحت حكم الجمهورية التشيكوسلوفاكيه من بلدة مهملة لا شأن لها الى عاصمة صغيرة . ولم يعرف الضباط المجريون الذين دخلوا الى هذه المدينه ، بعد قرار فينا فى ٢ نوفمبر سنة٩٣٨

تلك البلدة الصغيرة التى لم يروها منذ عشرين عاما. فطبيعى أن يكون التشيكيون قد انفقوا عليها عدة مئات من ملايين الجنيهات، فقد انشأوا كثيرا من المبانى الحكومية، وشوارع جديدة على أحدث طراز ، وأحياء جديدة أيضا للاقامة، وقد قال أحد الضباط المجريين مازحا عندما دخل المدينة على رأس قوته : «لقد اشتغل التشيكيون جديا وباتقان . فيحسن أن تسلم لهم المجر كلها لمدة عشرين سنة». وكان فى «ازهورود» مقهيان محبيان الى الناس. وكان لاسكندر برودى واستيفان ريفاى موائدهما المحجوزة بانتظام فى مقهى «كورونا» وكان لبوب فولوشين وباتشنسكى ، الذى كان أخيرا وزيرا ، موائدهما فى مقهى بالاس . وكان برودى وريفاى مدرسين قبل أن يتخذا السياسة مهنة لهما ، وكان برودى ، الذى لا تنبىء جبهته الضيقة جدا عن شىء من الآراء السياسية العالية ، مقسما وقته بين الشطرنج والسياسات . وكان ريفاى محررا بجريدة اسفوبودا « الحرية » . وكانا كلاهما متفقين فى القول بأن الرشوة جزء ضرورى من الحياة السياسية ، والخلاف بينهما فى الثمن. وقد باع برودى نفسه لبودابست أما ريفاى فقد اشتراه ريبنتروب . وحصل ريفاى حتى على شرف مقابلة هتلر فى برختسجادن . ولكن العالم كان الآن فى ضجة هائلة . وكان زوار مقهى «كورونا» يتبادلون الصحف القادمة من بودابست وفينا وباريس وحتى جريدة التيمس كانت تقرأ فى ذلك المقهى . وقد اشتد ضغط برلين ، وكان لا بد من أن يسير العمل فى براتسلافا وأوزهورود على مايتسق وعمل برلين . وقد استطاعت الجاسوسية الالمانية بالاشتراك مع

الجاسوسية المجرية أن تعثر، فى مهارة تامة، على الرجلين المستعدين لتنفيذ الأوامر الالمانية. وبدأ الرجلان يصرحان بشكوكهما فى قدرة الديمقراطية على حفظ النظام طويلا بعد الآن.

ولم يكن الأمر فى روثينيا يتطلب دعاوة المانية يثيرها اوتو آبتز — اشهر الجواسيس الالمان فى باريس واسوأهم سمعة — او البرنس لوفنستين، لأثارة البلاد وكسبها. بل حتى لم تكن هناك من حاجة الى جوستاف هرمان الذى أرسله ريبنتروب الى براتسلافا بصفته احد خبرائه ليرشد هر كارمازن زعيم الالمانيين فى سلوفاكيا. وقد جرت عادة الدعاوة الالمانية فى أغلب بلاد العالم على أن تبدأ بتنظيم « جمعيات التعاون المشترك ». وقد رأى ريبنتروب من المفيد جداً ان ينشر « متحسسيه » فى ارجاء العالم كله باوسع ما يستطيع.

وقد لعبت العلاقات فى الأسرة وفى الأعمال العامة دوراً خطيراً هنا. فألى جانب ماركيزا دى بيلويز تلك الأميرة المنتمية الى أسرة هوهنلوه — لانجبرج، والتى اتصلت علاقاتها من المكسيك، عن طريق باريس ولندن، بأشلوس روتنهاوس فى منطقة الالمان السوديت، الى جانب هذه الاميرة كان لهتلر وكيل آخر عظيم القيمة هو البرنسس هوهنلوه التى تنتمى الى فرع آخر من هذا البيت المالك الالمانى القديم ولو انها كانت بالفعل من أصل يهودى، ولم تكن إلا «أميرة بالاسم» هذه الاميرة هى استيفى ريختر الشهيرة ذات السمعة السيئة أصلها من فينا، وقد أنتشرت فى السنوات القليلة الأخيرة اخبار حركتها الواسعة النطاق

انتشارا هائلا واستيفي ريختر فتاة ذات مطامع لاحد لها . وقد استطاعت ان تخدع البرنس هوهنلوه ، وكانت امها المجهولة مصدر ضحك لا ينفذ للنبلاء النمسويين فى « فندق ساخر » فى فينا بعد الحرب العظمى . وكان من المعروف للجميع ان أم استيفى كانت تجيب نداء التليفون دائما بقولها « أم البرنسيس تتكلم » والآن اصبحت استيفى ريختر التى جاءت من ليوبولد ستاد غتيو فى فينا مالكة قصر ليوبولدسكرون بالقرب من سالسبرج ، وهو قصر فخم بديع ذو حديقة من أجمل وأروع الحدائق نزعت ملكيته من ماكس رينهاردت . وقد لعبت هذه الفتاة دورا ظاهرا فى سقوط تشيكوسلوفاكيا .

وكان مئات من المغامرين والمضاربين يهتمون اهتماما شديدا بروثينيا. فباغراء مكتب ريبنتروب أرسل اسكورد بادسكى المعروف جيدا فى الحرب العظمى وكلاءه الى هناك . وظهر القلق المستمر على كبار الملاك والنبلاء المجريين الذين تقدمت لهم استيفى ريختر بالتمهيد ، من جراء عودة هذه المنطقة الى المجر .

وانهال رسل بودابست التابعون لريبنتروب على هذه المنطقة التى ما كانت لتستطيع مقاومة هذا الغزو حتى ولو لم تنتشر الرشوة بين جماعة ريفاى وبرودى وحتى لو لم يكن بوب فولوشين غير غر ساذج . ولكن فى هذا الركن الصغير المنعزل من أركان العالم الذى لم تستطع الحكومة التشيكية أن ترقيه وتدخل اليه الاصلاح الا بعد عشرين سنة ، إذ أقامت المدارس وانشأت الطرق وسكك الحديد

وقللت نسبة الأمية . فى هذه البلاد التى هذا شأنها بدأ المال يدور ويعمل عمله وفى هذه الناحية من نواحى العالم التى كان من عاداتها أن يبيع الفلاح امرأته وابنته بشوال من البطاطس أو بماعز ، وجدت وسائل مكتب ريبنتروب الأرض الصالحة المثمرة . فعلى حين فجأة بدأت الصحف الكبرى فى نيويورك وباريس ولندن وبرلين ووارسو وبراغ تنشر مقالات على مشروع هتلر لخلق «اوكرانيا الكبرى» . ونشرت الاخبار عن الغابات والثروة المعدنية التى لم تكتشف بعد وحتى ريفاى وبرودى وفولوشين قد ذكروا فى هذه الأخبار بأسمائهم . وقد استيقظ برودى ذات صباح فوجد نفسه ذائع الصيت كلورد بيرون .

الى هذا الوقت كان هؤلاء المحامون الصغار وتجار الخشب، والقسس والصحفيون والمضاربون فى العملة يعيشون عيشة اقتار . والآن قد جذبت الحوادث العالمية هؤلاء جميعا . ولم يعد لدى القسيس فولوشين وقت يتلو فيه الجناز ، فضغط ذقنه الحليق بيده وفكر جديا فى خلق أوكرانيا الكبرى ، ولم يستطع كل هذا الجمع من المغفلين والنصابين والخونه أن يعرفوا كيف ضلل بهم وخدعوا .. وكان هتلر قد اعتزم أن ينتهى من تشيكوسلوفاكيا فى مارس سنة ١٩٣٩ وقد قضى مشروعه بأن تفصل عنها سلوفاكيا موقتا وأن تسلم روتينيا للمجر

وحتى قبل أن تضطر حكومة الرئيس هاشا وبيران المركزية الى اقصاء تيسو رئيس الوزارة السلوفاكية عن منصبه لرفضه العمل ضد مشروع الفصل ، قرر وكلاء ريبنتروب أن يثيروا حركة انقلاب دموى فى روتينيا

وفى يوم من الأيام أمرت الحكومة التشيكوسلوفاكية بالقبض على برودى وريفاى . فوجد البوليس عند برودى مبلغ ثلاثة ملايين من العملة المجرية لم يستطع أن يفسر سبب وجودها عنده . كذلك وجدوا فى حيازته عقودا بابتياع ضيعتين كبيرتين كانتا لا تزالان ملكا لحكومة تشيكوسلوفاكيا، ومراسلات مع بعض الدوائر السياسية المجرية التى حملت شعار بارونية مجرية بمجرد احتلال الجنود المجريه روثينيا . ووجدت لدى ريفاى مستندات تتصل بمؤامرة علنية مع برلين.

وفى ١٦ مارس سنة ١٩٣٩ احتل المجريون بلدة (شست) العاصمة الجديدة حيث كان القس فولوشين مقيما خلفا لبرودى فى رياسة الوزارة ومن الطبيعى أن مكره لم يستطع أن يتمشى مع مكر ريبنتروب . وعلى ذلك مزقت الاعلام ذات اللونين الأزرق والذهبى التى اريد أن تكون اعلام حكومة روثينيا المستقلة ، وكان ما سموه «لاندتاج» قد أعلن ذلك الاستقلال قبل هذا الحادث بيوم واحد، ورفعت مكانها الاعلام المجرية ذات الألوان الثلاثة الاحمر والابيض والاخضر . ولم يعرف القس فولوشين ، الذى كان يعتقد أنه يصنع تاريخ العالم ، ما الذى حل به . فقد دفع به ملازم مجرى بعيدا عن مكتبه وجلس هو على كرسى رئيس وزارة روثينيا « المستقلة »

أما (شست) التى عاشت بضع أسابيع عاصمة اوربية فقد عادت مرة أخرى قرية صغيرة فى ضواحى آسيا . وعادت الخنازير والجديان التى حرم عليها أن تسير فى شوارع تلك البلدة الرئيسية طوال المدة التى

قضاها برودى وريفاى وفولوشين فى الحكم ، الى السير مطمئنة حيث شاءت ، وقد جلس قندلفت القس فولوشين على عتبة كنيسة القرية يدخن غليونه ويبصق من وقت لوقت على الشارع الموحل بحدة ملحوظة إذ لم يعد يجد لذة فى الحياة .

بلدان أخرى ، وأساليب أخرى!! كانت الدعاوة الاشتراكية الوطنية تعمل على أسلوب ما فى روثينيا الصغيرة، وعلى أسلوب آخر فى سلوفاكيا وعلى أسلوب ثالث فى بوهيميا ومورافيا . وقد تمكنت هذه الدعاوة من اسقاط النمسا وفاق خطة معينة ، وحاولت أن تقوض دعائم فرنسا عن طريق أضعاف مقاومتها ، وهى تغرس الان بذورا بسيكولوجيه تحاول بها تشويش الرأى العام فى انجلترا ، ثم هى تعمل على أسلوب آخر فى الولايات المتحدة وامريكا الجنوبية . ولكن فى قصة روثينيا الصغيرة اختصر هذا الأسلوب الى أبسط حد . ففى هذه الحالة قد اعتمد ريبنتروب على عاملين — نقص النمو السياسى فى أمة صغيرة ، كانت منذ عشرين سنة تعيش تابعة لغيرها فى حاجه وفقر . والثانى هو الفساد الذى كان ميراثا خلفه ذلك الماضى المحزن . أما سلوفاكيا فقد قدم لها طعم آخر .

درس الوكلاء الالمانيون مواضع الضعف فى البلاد السلوفاكية درسا يكاد يكون علميا فى دقته فقويت فى نفوس السلوفاكيين عناصر البغض للموظفين التشيك ، فى حين أخذ الرسل الالمانيون يبحثون فى كل بلدة وقرية عن مرشحين سلوفاكيين يعدونهم بتولى الوظائف الحكومية ، فثارت شهيتهم الى الممتلكات اليهودية التى ستنزع ملكياتها كما حدث فى المانيا ، وكان من المطلوب ان يتحرك فى النفوس العطف على المجر ،

وهكذا كسبت جميع العناصر التى لم تكن ترجو كثيرا من الديمقراطية وكانت ترجو كل شيء من الثورة ، ثم ، فى اللحظة النفسية التى يدركها هتلر وموسولينى فى سرعة ، يبدأ استغلال حماسة طبقات معينة من الشعب ، وعلى الاخص الشبان الذين يتشوفون الى الرداء العسكرى . ومن الجائز ان هذا الاسلوب لايلائم البلاد التى لاتجعل الحرية الفردية فيها للرداء العسكرى القيمة التى له فى غيرها من البلدان ، مثال ذلك الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا . وتاريخ الفاشستية فى إيطاليا قد أظهر كيف اقبل الرجال جماهير للانضواء تحت لواء موسولينى فى سنة ١٩٢٣ وكيف لبسوا القميص الاسود متحمسين . وهؤلاء الرجال من طبقة البورجوازية الصغيرة التى يعيرها اللباس العسكرى قوة ومقاما لم يقع لها مثلهما قط من قبل . وطبيعى أن تكون ذكرى الحرب العظمى قد لعبت دوراً كبيراً فى هذا الصدد. فالكاتب فى أحد الدكاكين الصغيرة قد رقى الى باشجاويش فى الحرب العظمى ، وقد قضى سنوات يتمتع بقوة غير محدودة تشمل الحياة والموت على جنود فصيلته . ثم هو شعر آخر الامر بقيمة السيادة ! وبعد الحرب كان لابد لهؤلاء الرجال ، من كتبة ومدرسين وموظفى ضرائب وبائعى كتب ، أن يطرحوا جانبا أرديتهم العسكرية ، وأن يتخلوا معها عن ذلك الاحترام الخاص الذى كانت تضمنه لهم والقوة التى كانت تعيرهم ، وكانت تلك هى ايطاليا ، التى تبدو كأنها كانت دولة حرة وانها قد كسبت حرية الرأى فى القرن التاسع عشر .

وفى المانيا ، البلد المتفوق بلا منازع فى الملابس العسكرية ، كان اقبال الشباب على ارتداء قمصان هتلر الرمادية والسوداء أمرا أكثر سهولة فى فهمه . فمنذ أجيال يرجع عهدها الى أبعد ما يمكن العقل أن يتذكر كان المفهوم فى المانيا « ان الجندى هو الرجل الأول فى الدولة » فكانت الاولوية لكل مرتد لباسا عسكريا ، حتى ولو لم يكن الا لباس رجل بوليس القرية ، أو حارس المتنزه . والآن قد ظهر فى سلوفاكيا جنود العاصفة والحرس الاسود الالمانيون وهم حماة القانون العصريون ، وقبل مضى وقت طويل كان السلوفاكيون قد أنشأوا فرقهم الخاصة التى تسمى « حرس هلينكا » وكان الواحد من رجال هذا الحرس هو سيد القرية غير منازع ، لا يعارض انسان أوامره ، وحتى رجال البوليس يخضعون لسلطته . وهكذا استطاع آلاف ممن لم يكونوا شيئا على الاطلاق قبل يوم واحد أن يزعموا لانفسهم السلطة الرسمية . فلم يلبث المحتالون والمفلسون والنصابون واللصوص كبارهم والصغار والافاقون والمهوشون أن ملأوا غرف المكاتب الجديدة العديدة التى انشئت فى كل مكان .

وكان رجال هذا الحرس بطبيعة الحال اشياعا لهتلر متحمسين ، ولألمانيا العظمى فى الشمال التى امتد ساعدها الى سلوفاكيا لتقيم فيها «النظام الخالد» . وقليل جدا من هؤلاء الرجال هم الذين امسكوا فى حياتهم بكتاب فى ايديهم الا اذا كان الكتاب الابتدائى فى المدارس الأولية ، والآن شرع هؤلاء يخططون بأصابعهم الغليظة على عدد لا يحصى من

افرخ الورق الأوامر والأحكام ، فنظموا اضطهاد اليهود ومزقوا آخر خيط من خيوط السلطة الرسمية . ولم تكن فى رؤسهم أية فكرة عن المعنى الحقيقى للاشتراكيه . فقد كانت الجمل التى قرأوها فى الصحف المنشأة حديثا كافية لأن تحملهم على دمغ كل اشتراكى بوصمة خيانة الوطن . فكان حرس هلنكا لعبة غريبة من لعب الهتلرية ، إذ كانوا يعتقدون أنهم يخدمون الكاثوليكية والمسيحية ، ولكن الامر قد انتهى الى فوضى بربرية محزنة نشأت عن عدم النضوج السياسى وعن التحريض الاجرامى .

كان هذا هو الموقف فى الايام الاولى من شهر مارس سنة ١٩٣٩ فقد وجد الموظفون والجنود التشيكوسلوفاكيون أنفسهم وقد انهارت الارض تحت أقدامهم . وكان تيسو رئيس الوزارة السلوفاكية ، وهو قسيس قرية شغل رأسه بالسياسة أفق ثقافته محدود جدا ، يعتقد كزميله الروثينى فولوشين ، انه حقا قد اختير ليلعب دورا فى سياسة العالم ، ولما كان تيسو رجلا بسيطا ولكنه ضيق العقل جدا،فلا يستطيع أن يدرك العلاقة بين براغ وبرسبورج إلا من ناحية المطامع الشخصية كتعيين الموظفين وما الى ذلك ، فانه من غير شك كان الرجل الذى يرحب به هتلر الترحيب كله . وقد ظهرت على فم هتلر ابتسامة الرضا عندما أمره بالذهاب الى برلين ورآه يدخل عليه — غليظ المنظر ثقيل الخطى ، ترتسم على وجهه أمارات مكر الفلاحين ، جازع حتى قبل أن يفتح فمه ، وكان سروالاه مرفوعين جدا فكانت جواربه القطنية مكشوفة للناظرين ،

وكانت سترته السوداء مبقعة بالنشوق .

والحق ان الفارق بين مازاريك ، وهو أيضا سلافى بمولده ، وبين القسيس تيسو المشغول الرأس بالسياسة ، هو الذى أظهر فى وضوح مافعلته الهتلرية باوربا الوسطى والتغييرات التى أحدثتها ! فمازاريك رجل عالمى ذكى ارستقراطى بكل ما تحتمل الكلمة من معان ، يعرف معرفة جيدة خمس لغات، عالم محب للخير أوربى أصيل،السياسة عنده علم وفن

أما تيسو فمثال الرجل المحدث النعمة الخارج من البورجوازية الصغيرة مندفعا مع الفاشستيه ، دون أن يكون له رأى أو مثل أعلى ، يستخدم السياسة على أنها تجارة أو نوع من الاعمال المربحة ، غير متعلم لا تجد فى نفسه أى أثر للروح الاكليركى أو الجزويتى ، ضخم الجسم ماكر وهو فى الوقت نفسه مجرد تجردا تاما من البسيكولوجيا السياسية ، وكان فى أعماق قلبه معجبا بهتلر وبما يسمى « المنهب الحسى فى السياسة » وكان يعتقد فى نفسه انه المختار والممسوح بالزيت المقدس ومن المحتمل ان لايكون قد ادرك بعد انه لم يكن الا مجرد « بيدق » فى يد هتلر

وكان حول تيسو رجلان متصلان به من مأجورى هتلر هما الوزير دكتور فرديناند دورشانسكى ورئيس المطبوعات سانجو ماش وأمر هذين الرجلين شائق فقط من الوجهة البسكولوجية ، فهما من ذلك الطراز الاجرامى الذى ترحب به الدعاوة الهتلرية على الدوام مستعدة لضمه الى خدمتها .

كان دورشانسكى محاميا فى براتسلافا ولم يكن يربح شيئاً من مهنته

فقرر فى جرأة المغـــامر ، الذى لم يبق لديه شىء يضيعه ولكن أمامه كل شىء يكسبه ، ان يضع نفسه تحت تصرف هتلر . فانشأ جريدة للشباب كانت نواة لجماعة الشباب الفاشستى وحرس هلنكا الذى جاء بعد ذلك . وقد أصبح فى الوقت الحاضر وقد كسب كل شىء فمكتبه الذى لايقلقه أى قانون من قوانين المعارضة ، أكثر المكاتب ربحا فى براتسلافا ثم هو وزير ومالك عدة بيوت ومن أصحاب الملايين وهو السيد الحقيق لسلوفاكيا .

وماش الذى يسمى رئيس المطبوعات كان يعيش عيشة بوهيمية وهى عيشة غير غريبة على صحفى بلقانى . وقد ظهر أن الحياة لم تهيء له فرصا أخرى . وقد تعب من العمل فى صحف برسبورج عملا متقطعا فى الناحية الأدبية . وكان على شىء من الذكاء ولكنه كان ملولا غير مثابر ، وكان تعلمه قليلا ولكنه كان مغامرا عديم الرحمة ، وقد أصبح رئيسا لحرس هلنكا ، فأصدر أوامره باضطهاد اليهود ونفذها فى صورة مرعبة عند ما كانت البلاد كلها تندفع على رأسها الى الهاوية فى أثناء النهب العام .

ولو ان تيسو كان فى عهد الجمهورية التشيكوسلوفاكيه الأولى لايزال ، على صورة ما ، تحت تأثير الفكرة الأوربية عن الكرامة . إلا أن صفاته المرية قد انطلقت الآن من عقالها وظهرت مطامعه المادية جلية فى الحال على أثر البتر المفجع الذى أصاب الجمهورية التشيكوسلوفاكية باتفاق ميونيخ . فتحلل ذلك المنافق الخادع من كل

قيد يتصل بالاخلاص للمبادىء والأمة والوطن بل لمكانته الكهنوتية وأصبح ذلك السياسى المحلى بكفاياته الذهنية الضئيلة لعبة سهلة بين أيدى الدساسين والمجرمين . وقد كان قبل بضعة أشهر فقط قد أقسم يمينا مقدسة ، على القبر المفتوح الذى حوى جثة زعيمه السياسى ومرشده هلنكا ، قال فيها انه سيبقى الى لأبد أمينا مخلصا لبرنامج هلنكا السياسى ووصيته . ولم يكن حبر الوصية قد جف بعد — لان هلنكا قد كتبها قبل موته ببضعة أيام فقط وهو راقد على سرير الموت ، وفيها وعظ ورثته السياسيين بقوله : « ليكن ما يكون ، ولكن احرصوا على الوحدة بين التشيك والسلوفاك فى جمهورية تشيكوسلوفاكية متحدة ! »

ولكن لم يكن قد مر غير بضعة أسابيع بعد موت هلنكا عندما عقد اجتماع ميونيخ ، وإذ كان رجال هتلر أمناء على تنفيذ خططهم الفنية فقد بدأوا فى الحال يواصلون فى شرق الجمهورية وجنوبها ما بدأوه فى الغرب بنجاح كبير . وهمس ثعلب وهلمستراس لغراب براتسلافا الساذج : « حل عربتك من حصان التشك الأعرج ! » . وانضم فريق من الشبان المتحللين من الأخلاق الى استاذ الآداب اللاهوتية الذى أصبح بالفعل قويا بعض الشىء ، وعلى حين فجأة أصبح القس تيسو الشخص الممثل لارادة سلوفاكيا الوطنية .

وبعد ان اقسم الرجل ، بصفة انه رئيس وزارة سلوفاكيا المستقلة استقلالا ذاتيا ، يمين الاخلاص للدستور فى خريف سنة ١٩٣٨ قال لأصحابه : ماذا يستطيعون ان يفعلوا فى براغ؟ لاشىء . هذه هى نهاية العلاقات

التى كانت تربط السلوفاك ببراغ ومن الآن فصاعدا سيعمل كل شيء عن طريق برلين . واذا عارضتنا براغ فسيزحف الألمان عليها .

ولما كان رئيسا لما يسمى الدولة السلوفاكية فانه يتصرف بأسلوب يجمع على السواء بين التقلب وعدم تقدير المسؤولية . وفى صيف سنة ١٩٣٩ دبر فى براتسلافا عرضا معاديا للبلشفية جمع كل نداءات هتلر الحربية ضد البلشفية . وفى هذا العرض لم يوجه السباب الى دكتور بنيش فقط بل لقد سب أيضا محرر البلاد الرئيس ت . ج . مازاريك كما سب غيره من ممثلى العالم الديموقراطى . ولكن عندما صدرت له بعد بضعة أشهر أوامر هتلر بأن يقيم العلاقات الدبلوماسية بينه وبين روسيا السوفياتية ، عين ابن عمه فراتوتيسو وزيرا مفوضا فى موسكو . وفى مناسبة عيد ستالين الستينى أرسل اليه تلغراف تهنئة ، وهو القسيس الكاثوليكى الذى كانت حجته الرئيسية ضد التشيك «بلشفيتهم» المزعومة

فى سنة ١٩١٦ فى الوقت الذى وضع فيه السياسى الألمانى فريدريخ ناومان مشروعه لخلق اتحاد اقتصادى لأوروبا الوسطى تحت الادارة الألمانية ، تقدم شاب كان الى ذلك الوقت استاذا غير معروف فى كلية الحقوق فى بلدة بوزونى الاقليمية فى المجر (براتسافا السلوفاكية) فطبع رسالة باللغة المجرية عنوانها « الحرية » جمع فيها بين فلاسفة الجامعة الجرمانية وسياسيها . وكان اسم هذا المؤلف ، الذى كان منذ وقت قريب جدا موظف بوليس ثم انتقل الى منصة المحاضر « بيلاتوكا » وقد وكد فى كتابه انه من الضرورى للأمم الصغيرة الضعيفة أن

تسمح لنفسها بالاندماج فى جاراتها الأعظم والأوسع منها سمعة فى تقاليدها . وبذلك برر تمجير السلوفاكيين وعبر عن اخلاصه لفكرة الدولة المجرية الموحدة . واذ كان توكا قد تعلم على يد أساتذة كانوا من جانبهم متأثرين بالفلسفة الالمانية ، فانه كأغلبية مواطنيه المجريين لم ينظر إلى أبعد من حدود دولته المجرية الموحدة ، ليدرك أن من وراء السمكة المجرية الجائعة التى كانت تحاول أن تبلع السمكة السلوفاكية الصغيرة ، يطل كلب البحر الالمانى الأشد جوعا .

عندما وصلت الحكومة السلوفاكية الأولى الى براتسلافا فى ٤ فبراير سنة ١٩١٩ استقبلتها طبقات المدينة جميعا بالترحيب الشديد ، ما عدا هيئة التدريس بكلية الحقوق المجرية التى كان دكتور توكا بالطبع أحد أفرادها وكان هذا الشذوذ ملاحظا جدا .وقد ضمنوا احتجاجهم مذكرة لمصلحة المجر موجهة ضد تحرير سلوفاكيا .

ولم يكن إلا فى سنة ١٩٢٠ فقط أن غير دكتور توكا على حين فجأة عقيدته الوطنية . فما بين أسبوع وأسبوع قد انتقل من وطنى مجرى متطرف الى وطنى سلوفاكى — ولم يكن كذلك أقل تطرفا فى وطنيته الجديدة منه فى عقيدته الأولى .

وبدأ توكا يدرس اللغة السلوفاكية فى نشاط وجد على يد راهب فرنشسكانى اسمه ب . بونافنتورا ، وانضم فى الحال الى حزب الشعب السلوفاكى الذى أسسه الأب هلنكا وهو حزب وان يكن له أنصار كثيرون من عامة الشعب السلوفاكى المتدينين الا أنه كان ينقصه القادة

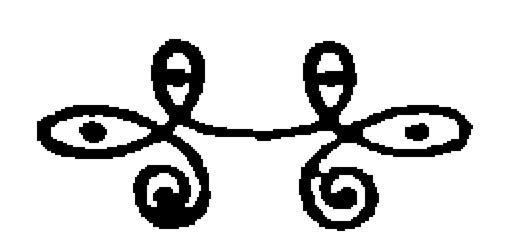
المتعلمون . وهكذا، على الرغم من أن توكا كان معروفا منذ أربعين سنة بتأييده سياسة كان هلنكا يحاربها طوال حياته — فانه لم يقابل فى حزب الشعب السلوفاكى بالترحيب فقط ولكن عهد اليه أيضا بوضع برنامج الحزب الذى يعين خطته تجاه الدولة .

وفى سنة ١٩٢١ اتخذ الحزب لنفسه برنامج الحكم الذاتى وأصبح دكتور توكا واضع هذا البرنامج رئيسا لتحرير جريدة « سلوفاك » اليومية التى تنطق بلسان الحزب . وانتخبه الحزب فيما بعد عضوا فى البرلمان . وكان فى مهمتيه : مهمة النائب والمحرر — المحرر الذى تترجم مقالاته من اللغة المجرية التى يكتبها بها إلى لغة جريدته — يعمل بجد لتحقيق غرض واحد جعله الهدف الرئيسى لحياته : ذلك هو تمزيق وحدة تشيكوسلوفاكيا واعادة سلوفاكيا إلى المجر . وفى سنة ١٩٢٣ ذهب إلى باريس ليكون أقرب اتصالا بالراهبين السلوفاكيين .. جهلكسكا ودفوركساك اللذين كانت المجر تمدهما بالمال ليثيرا فى الخارج حملة على الوحدة التشيكو سلوفاكية ، فاشترك فى مؤامرات عسكرية ضد تشيكوسلوفاكيا ، بل لقد أسس هيئة سرية شبه عسكرية تسمى «رودو برانا» يتمتع أعضاؤها اليوم بالمراكز الممتازة فى الهيئة السلوفاكية الحالية شبه العسكرية «حرس هلنكا»

ظهرت جميع حركات توكا المعادية للدولة فى سنة ١٩٢٩ عندما حوكم بتهمة الخيانة والتجسس والتآمر مع دولة أجنبية ضد سلامة الجمهورية، وحكم عليه بالسجن خمس عشرة سنة .. ولما أصبح واضحا أن توكا كان يعمل لمصلحة دولة أجنبية ندم هلنكا على أن عهد اليه بمثل

تلك الواجبات الهامة فى داخل الحزب ، وفى سنة ١٩٢٨ قال فى خطاب كتبه : « حتى إذا كان لا بد لى من ترك الحياة السياسية ، فأنه لا يمكن اعتبار توكا خلفا لى ، لأن خلفى يجب أن يكون رجلا كاملا وسلوفاكيا أصيلا . فأننا دائما نجد آثار الخيانة والتحيز للمجر فى أعمال توكا »

وبعد أن قضى توكا فى السجن تسع سنوات من المدة المحكوم بها أفرج عنه الرئيس بنيش على أساس خطاب ندم اعترف فيه بالجرائم التى ارتكبها وحوكم وعوقب عليها ؛ ولكن هذا الندم لم يستمر وقتا طويلا . فهو لم يكد يخرج من السجن حتى كانت حملة النازى « لتحرير الالمان السوديت المضطهدين » قد بدأت بالفعل . ووجد هينلين فى توكا حليفا ورفيقا فى التآمر جد نافع .



— ٤ —

« دجافو » شيطان يوغوسلافيا

الدكتور استوجادينوفيتش وشركاؤه

فى ٢١ ابريل سنة ١٩٤٠ قبض على الدكتور ميلان استوجادينوفتش أحد رؤساء وزارة يوغوسلافيا السابقين فى منزله رقم ٣ بشارع ميلانوفا فى بلغراد . وقد كان فى مدى أربع سنوات من سنة ١٩٣٥ الى سنة ١٩٣٩ الدكتاتور المطلق اليد فى بلاده . وقد روى شاهد عيان البيان المحزن الآتى عن القبض عليه :

« فى طريق توبنشيدر فى «جوسبودركا ميهانا» احدى ضواحى بلغراد فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، كانت الشمس المحجبة بالسحب الكثيفة معلقة فوق بلغراد ، وهى مدينة لا يقل الربيع فيها قسوة عن الشتاء . وهناك سيارتان واقفتان أمام المنزل رقم ٣ بشارع ميلانوفا ، وكان سواقان وضابطان من ضباط البوليس واقفين أمام الباب الحديد . ولم يكن فى الشارع أحد من المارة لأن الساعة ساعة الراحة

« والدار التى وقفت أمامها السيارتان دار رهيبة المنظر تحيطها حديقة غناء فصاحبها من محبى الزهور والأشجار . وكان هذا البيت وهو بيت الدكتور ميلان استوجادينوفتش قد فتش فى أثناء الثلاثة الايام الاخيرة تفتيشا

دقيقا من أعلاه الى أسفله . ولم يكن أمر القبض عليه قد امضى إلا فى هذا الصباح . وتكفى بضع خطوات للوصول الى الردهة الكبيرة حيث يوجد السلم الذى يصعد عليه الانسان الى غرف الدار. وكان هناك ثلاثة من جنود الجندرمه جامدين فى موقفهم أمام هذا السلم .

وهبط « أستوجا » — وهو الاسم الذى كان يطلقه على الرجل أصدقاؤه المقربون — السلم فى تؤدة . وقد بدا عليه أنه ينظر نظرة أسى وحزن الى المكتبه ذات النافذة القوسية الكبيرة التى علقت على يسارها صورة كبيرة للأب « باسيش » الرجل الذى دربه فى الميدان السياسى . وكانت هذه الصورة التى يعدها موضع كبريائه النفسى، تحمل اهداء أخويا مؤثرا. وكانت غرفة الطعام المستطيلة الواقعة الى اليمين التى استقبلت كثيرين من الضيوف من جميع الأنواع كما سمعت كثيرا من الاسرار ، مفتوحة الباب على مصراعيه . ويوجد فى هذا الجانب الطريق المؤدى الى غرفة البنادق ، فى الطابق الارضى من البيت ، حيث علقت الآثار التى جيء بها من رحلات الصيد ، مع جورنج فى الأيام السعيدة الماضية .

ولم يكن « أستوجا » قد فقد حيويته فقد كانت عيناه لا تزالان تبرقان تحت حاجبيه الكثيفتين . ولكنه كان قد فقد ابتسامته الجذابة . فهذا الرجل المقامر ، الرجل الذى غامر فى الحياة متعرضا للاخطار ، يرى الآن الخطر الشديد فى مواجهته ، ومع ذلك كان صوته لا يزال محتفظا بنبرة الأمر والسلطان عندما قال للجنود الثلاثة المحيطين به وهو يزرر بحركة آلية سترته الرمادية : « انى مستعد أيها السادة . »

« وترك ضباط البوليس مقاعدهم بحركة آلية ورفعوا أيديهم بالسلام العسكرى . وكانت حقائب الملابس موضوعة فى احدى السيارتين . وأخذ استوجادينوفتش مقعده فى السيارة الثانية . وسمع دوى آلات السيارتين وخلا « لاميلانوفا » مرة أخرى من الناس »

وهكذا بعد أن بقى ميلان استوجادينوفتش أربع سنوات السيد المطلق التصرف فى سياسة يوغوسلافيا ، اختفى من ميدان العمل السياسى ليقيم اقامة ارغامية فى « رودنك » فى سربيا الوسطى . وهى قرية مختبئة فى منطقة معدنية .

المصير الغريب لرجل غريب !

وكان استوجادينوفتش فى أمسية سقوطه قد أمر باعداد ملابس رسمية على الطراز الاسلامى لشباب يوغوسلافيا « الجوجوراس » وكان رجال الجمارك قد صادروا عددا من الاردية والمناديل المطبوعة عليها صورته كما صودرت اكياس التبغ التى جىء بها لجنود الصدمة . وكانت المناديل بيضاء ذات كنار أخضر . وقد سمح له بأن يأخذ بعضها معه الى منفاه . وقد ثبت من شهادة التصدير المرفقة بالمناديل انها صنعت فى « شمنتز » .

وعلى مدى الأيام صودرت هدايا أخرى مرسلة الى استوجادينوفتش من الريخ الثالث ، وكان الرجل فى أثناء توليه رياسة الوزارة من حملة الأسهم فى مصانع كروب ، وقد أصبح بايراده الظاهر الذى يبلغ ٣٥٠ مليون دينار فى السنة أغنى رجل فى يوغوسلافيا . وكانت جريدة «فريم»

وهى الجريدة الثانية فى سعة الانتشار، بين الأشياء التى صودرت. وكانت هذه الجريدة بالفعل تابعة للحكومة ، وفى أثناء حكمه حول أسهمها الى اسمه الخاص ، وجميع أعمالها ومكاتبها وضعت كذلك باسمه وأسماء الذين يختارهم ، وبهذه الطريقة أصبحت جريدة «فريم» اللسان الرسمى للحكومة اليوغوسلافية نسخة برلينية من جريدة «فو لكشير بيوباختر»

وكانت جميع المصادر الرسمية ، حتى النقل بالجو ، تحت تصرف هذه الجريدة. فكانت تستطيع أن تطبع أعظم الأخبار شأنا قبل منافستها بأربع وعشرين ساعة. وكان رقيب أستوجادينوفتش حريصا كل الحرص على تنفيذ ذلك . وقد عين شقيق رئيس الوزارة دراجومير الذى اعتقل فى الوقت نفسه الذى اعتقل فيه شقيقه ، رئيسا لتحرير تلك الجريدة .

وأنشئت للجريدة بناية جديدة على أحدث نظام وزودت بآلات الطباعة العصرية وبالحروف الجميلة. وعنى بأن تستوفى هذه الدار ومقتنياتها جميع الكماليات وأسباب الرفاهة والترف . حتى لقد أنشئت نافورة ماء فى مكاتب رئيس التحرير فى الطابق السادس . وقد بلغت أكلاف هذه البناية والآلات التى أحضرت لها وغيرها من الأدوات أربعين مليون دينار. وكان ورق الجريدة يأتى من المانيا معفى من النفقات. وكان أكبر حملة الأسهم فى النشر فرع كرب فى ايسن .

وكان مدير الجريدة العملى هو فرانز نيوهاوزن ، القنصل الألمانى العام وفى الوقت نفسه مدير مكتب السياحة الألمانى فى بلغراد ، والزعيم الاقليمى للحزب الاشتراكى الوطنى اليوغوسلافى، وأحد رؤساء الجستابو

.وهو أقل درجة من السفير الألمانى ، وصديق حميم لجورنج ومحسوب عليه ومليونير ، ومدير فرع بنك فينا (فينير بانكفيرن) الذى أخذ غصباً بعد احتلال النمسا . وفراتز نيوهاوزن هذا الذى يتمتع فى بلغراد بهذه الامتيازات الاقليمية الاستثنائية التى أضفيت عليه بصفة أنه أحد رجال الدبلوماسية فى الريخ الثالث، هذا القنصل العام لهتلروريبنتروب، قد حكم عليه فى بلغاريا بالأشغال الشاقة أربع سنوات للنصب والتزوير والاختلاس

وقد طبعت صورة طبق الأصل من الغازت الرسمية فى آلاف من المنشورات ووزعت فى يوغوسلافيا ، وطبع الحكم الذى صدر باسم «الملك» على نيوهاوزن. وتلقى هتلر وجورنج وجوبلز تقريرات شخصية عن ينوهاوزن وتصرفاته ، ومع ذلك يقول الجميع أن نيوهاوزن كان يعمل فى بلغراد كما لو كان القائد الأعلى لاستوجادينوفتش بينما كان الأخير لا يزال رئيسا للوزارة .

وفى الوقت نفسه الذى اعتقل فيه ميلان استوجادينوفتش وأخوه ، ورئيس بوليس بلغراد «اشيموفتيش» أحد وزراء الداخلية السابقين ، فتشت الحكومة دار «دوتشر كولتربوند» أو جمعية الثقافة الألمانية . وقد قدم البوليس البرهان على ان هذه الجمعية ليست فى حقيقتها إلا أحدى تشكيلات الطابور الخامس ، ولها ثلثمائة فرع منتشرة فى كل جزء من أجزاء المملكة ، ومن هذه الفروع يخرج الوكلاء والجواسيس للتوغل فى القرى البعيدة المتطرفه . وكان الوكلاء هام وترخلر وكريستيان بوكر هم رؤوس هذه الجماعة . والأخير منهم هو أيضا رئيس تحرير الجريدة الاشتراكية

الوطنية الألمانية «دير فولكسروف» ومعناها «الجأ الى الشعب» ومن أشد زملائه اتصالا به رجل اسمه جاكوب شيب، وقد زود بالتفاصيل الخاصة بتعبئة الألمانيين وجميع العناصر المناصرة لاستوجادينوفتش فى بلغراد لخلق الرعب والفزع، وتقطيع أسلاك التليفون، واحتلال الأماكن، وفى الجملة لشل جميع حركات المقاومة من أى نوع كانت. وقد تولى هيجر سبرجر تنظيم الطلبة والأطباء والمحامين. أما ريتميستر فابريزيس، أحد المحالين الى الاستيداع وأحد أقارب ريبنتروب. الذى كان الرأس الحقيقى لهذا الاجراء، فقد بقى فى المؤخرة. وكان ريتمستر فابريزيس يتولى مع القائد الأقليمى السابق فورستر ادارة مدرسة كابوريزم الالمانية فى دانزج. وكان قد نظم فى جميع ارجاء يوغوسلافيا شبكة من الوكلاء والجواسيس الذين كانوا يشتغلون بوابين فى الفنادق وخدما فى المقاهى ومعلمى لغات وخادمات فى البيوت

وهناك جماعتان نازيتان حربيتان. وهما على قلة عدد رجالهما كانتا تعتقدان أن الالمانيين سيساعدون فى انشاء «صربيا الكبرى»: احداهما وهى جماعة بوراباشى، ومعناها المقاتلون يلبس أفرادها القميص الازرق وزعيمها هو مسيو هودجيرا.

والجماعة النازية الثانية التى يتزعمها مسيو لجوتيش وتعمل تحت اسم «زبور» أو «الائتلاف» كانت تضم ٥٠٠٠٠ رجل. ومنذ بضعة اشهر فقط اكتشف أن هذه الجماعة كانت تتلقى اعانات المانية تبلغ قيمتها حوالى ٤٠٠٠٠٠ دولار

وكانت هذه الاعانات من نوعين : — الأول أثمان خاصة تدفع مقابل المحصولات الزراعية التي يصدرها تعاون (زبور) لألمانيا . والثاني تسلم كميات هائلة من الآلات الألمانية يبيعها تعاون (زبور) ويستولى على أثمانها دون أن يدفع شيئا من هذه الأثمان لبرلين .

ويوجد بين الكرواتيين جماعتان نازيتان ، لا تضمان غير عدد قليل ولكنهما غاية فى النشاط اذ أن جوبلز يؤيدهما . احداهما مؤلفة من الكرواتيين المستقلين اتباع هيئة « أوستاشى » التى انشأها الدكتور ا . بافلتش ، والتى اتهمتها السلطات الفرنسوية بتدبير مقتل الملك اسكندر فى مارسيليا .

والجماعة الثانية تمثل زمرة صغيرة من الكاثوليك الملتفين حول جريدة «هوفاسكا ستراتز» أو الحرس الكرواتى . وهى زمرة أصدرت عليها الهيئة الكنيسية أمر الحرمان . وكان وكلاء الريخ يوزعون مبالغ طائلة من الأموال الالمانية على المجهود الذى يبذل لتنظيم ٥٠٠ الف المانى فى يوغوسلافيا .

وكانت أوثق العلاقات قد استقرت ليس فقط مع العناصر المتعصنة بين جماعات الاقلية الوطنية ولكن أيضا مع جميعات الفاشست فى سربيا وكرواتيا وسلوفينيا . كما وطدت هذه العلاقات أيضا مع الثائرين المسلمين والمقدونيين

وفى بلغراد اسكن الريخ ، تحت ستار مكاتب السياحة ، اكثر من ٤٠٠ موظف من رجال وزارة الدعاوة مساكن فاخرة . ووضع هؤلاء

النازيون المتعصبون تحت اشراف هر نيوهاوزن . السفير الحقيقى . الذى يؤلف الاكاذيب والاخاديع ويهيمن ويصدر الأوامر للأقلية الالمانية . ويحمل الرجل لقب لاندسجروبنليتر ألى قائد فرقة اقليمية . ووراء هذه المناظر نظمت حركة بتر كرواتيا الميته . وقد تمت هذه المهمة فى «أجرام» (زاجرب) على يد الجزار «كوفاتش»

وكانت فرقة حقيقية من الدبلوماسيين ملحقة بالمفوضية الالمانية هناك ، هذا فضلا عن مئات المساعدين من رجال الجستابو . وقد خلقت لهم بعض المراكز غير العادية . وللريخ فى يوغوسلافيا ملحق للغابات. أما فيما يتصل برئيس المطبوعات فلم يكن فى مكتبه أقل من ١٧ مساعدا. نصفهم على مايظهر مزود بالتعليمات الخاصة باستقبال الصحفيين الالمانيين الذين كانوا يجيئون جماعات فى كل منها خمسة أو ستة منهم . وتقضى المصادفة ـ بان يكونوا جميعا من التلاميذ السابقين لأكاديمية ميونيخ النازية الشهيرة للقسم الشرقى الجنوبى من أوربا .

ولننظر الآن كيف أصبح استوجادينوفتش خائنا لوطنه ؟ كان الرجل رئيسا سابقا لبورصة الاوراق المالية فى بلغراد ، واذ كان ماليا نشطا جداً ، وكان برأسه الذى يشبه القنبلة فى شكله والمغطى بالشعر الكثيف الأسود ، وبحاجبيه الكثيفتين اللتين تعلوان عينين سوداوين براقتين ، من طراز الرجال الذين يستبقهم الالمانيون وينعشونهم لاستخدامهم فى « ليبنسراوم » وقد ورث ميلان أستوجادينوفتش قوته وجلده من أبيه الذى كان مدرسا صغيراً فى بلده « أوزيش » الصغيرة

والذى شق طريقه إلى المحاماة فى شيخوخته بمجرد قوة الارادة .

وكان فى سنة ١٩٣٥ فى بلغراد أن أصبح ميلان استوجادينوفتش رئيسا للوزارة فى اليوم الذى بلغ فيه الخامسة والاربعين من عمره . وجرت فى ذلك الوقت فى ردهات الاستقبال والمطاعم والمقاهى إشاعات لا نهاية لها عن العلاقات التى بينه وبين البرنس بول الذى عين منذ أشهر قليلا وصيا على عرش يوغوسلافيا بعد مقتل الملك اسكندر ، ولم يكن لكل هذا الكلام من أساس ، فالرابطة الوحيدة بين الرجلين منحصرة فى أن زوجتيهما من أصل يونانى . ولكن بينما كان مولد البرنسيس أولجا فى القصر الملكى بأثينا ، كانت مدام أستوجادينوفتش أبنة يونانى غنى أسمه « جازى » ، صاحب فندق فى كورفو كان فى شبابه قد تزوج من امرأة ألمانية . وقد قابل ميلان استوجادينوفتش زوجته فى كورفو ، حيث أصبح ، بصفة أنه لاجىء سياسى ، سكرتيرا للسياسى الصربى المحترم « باسيش » ، وذلك فى أثناء الحرب العظمى سنة ١٩١٥ بعد غزوة صربيا

وكانت أوجستا جازى واقعة وقوعا تاما تحت نفوذ أمها الالمانية ، ولم تنقطع قط عن أن تكون « ألمانية مخلصة » ، ولم تخف قط إعجابها بهتلر و « حركات ألمانيا » ونشاطها

ومن المحقق أن الدكتور أستوجادينوفتش لم يكن الرجل الوحيد ولا هو بأعظم كبار رجال المال الذين رحبوا فى حماسة بتولى هتلر حكم ألمانيا . فأنه طالما كانت روح فرساى متسلطة فى أوربا كان دكتور أستوجادينوفتش مطمئنا على نفسه إذ كان سكرتيراً خاصا لباسيش

اشتغل أيضا ملحقا دبلوماسيا فى مفوضيتى يوغوسلافيا بباريس ولندن. ولكن عندما صعد نجم هتلر تذكر ميلان أستوجادينوفتش دراساته فى جامعة برلين ، وعلاقاته مع الدوائر المالية فى برلين قبل الحرب وعلاقات مدام أستوجادينوفتش الالمانية .

وفى هذا الوقت كان استوجادينوفتش قد كسب بالفعل سمعة خاصة فى بلاده لمهاجمته فى جرائده وفى منشورات يذيعها دكتاتورية الملك اسكندر تلك الدكتاتورية التى اضطر الملك الراحل إلى اعلانها فى يناير سنة ١٩٢٩ من جراء المعارك التى لا نهاية لها بين الصربيين والكرواتيين . ولكن ظهر فى ضوء الحوادث التى جاءت بعد ذلك أن ميلان استوجادينوفتش لم يكن فى ذلك يعمل ضد الملك بمجرد بطولته الديموقراطية فقط ولكنه كان على الأصح مضاربا على مدى أوسع .

وفى سنة ١٩٣٤ حاولت فرنسا أن تقيم حاجزا يحول دون توغل المانيا من الشرق والجنوب الشرق . وكان المقصود أن تكون يوغوسلافيا قوة يعتمد عليها فى شرق أوربا . وفى مساء توقيع ميثاق فى باريس قتل الملك اسكندر ومسيو بارتو وزير الخارجية الفرنساوية فى مرسيليا بيد شخص خفى قيل انه من أصل مقدونى ، دل جواز سفره المزور على أنه قضى بضعة أيام فى ميونيخ قبل وقوع هذه الجريمة المزدوجة .

وبعد أيام من هذا الحادث عين مسيو استوجادينوفتش وزيراً للمالية ثم رئيساً للوزارة بعد قليل ، وهكذا بدأ توغل المانيا الاقتصادى

المدمر فى البلقان . ووجد وكلاء الالمان . المتسترون فى زى رجال الأعمال والذين يحملون كتب توصية شخصية ، طريقهم الى بيت ميلان استوجادينوفتش الكريم . وخطوة خطوة صدر جميع محصول يوغوسلافيا الزراعى الى المانيا وفاق مشروع المبادلة الذائع الصيت الذى وضعه الدكتور شاخت ، وهو مشروع ترك يوغوسلافيا دائنة لالمانيا بمبالغ ليس من المحتمل أن توفاها أبدا ، وفى جميع اجراءات المبادلة هذه ، وفى إنشاء مكاتب تجارية وعقود لمشترى محصولات يوغوسلافيا ونتاج غاباتها ومعادنها ، كان لميلان استوجادينوفتش شىء أكثر من المصلحة الوطنية . وفوق ذلك كان استوجادينوفتش بصفة انه وزير للخارجية يكثر من زيارة عواصم أوربا ، وبرلين على وجه أخص ، وهكذا كان يحصل على معلومات داخلية من الطراز الأول . تمكنه هو السياسى والمضارب المالى من أن يصدر من حين إلى حين أوامر ذات قيمة عظيمة لوكلائه السريين فى وول ستريت ، وفى بورصة لندن .

وفى سنة ١٩٣٧ أصبح مسيو استودجادينوفتش ، من غير شك ، أغنى رجل فى يوغوسلافيا ، وقد انتحل لنفسه فى أغلب السلطات الدكتاتورية فى بلاده ، وصحيح أنه كان أليفا جداً لشعبه ، وبخاصة الفلاحين والطبقات العليا فى بلغراد ، لأن مبدأه كان أن يعيش الانسان ويترك غيره يعيش ، وكان الناس مؤمنين بنجاحه السياسى والمالى ، وتقبلوا بغير لغط ولا ضجة حركات مقامرته المدهشة فى منتديات بلغراد الليلية العصرية ، حيث كان رئيس الوزارة الدكتاتور يلقى بمبلغ يساوى الف

جنيه على مائدة الباكارا . وأخيرا ليس فى أوربا سياسى عامل أثر فى الجنس اللطيف بأكثر مما أثر استوجادينوفتش .

ولما تولى ميلان استوجادينوفتش رياسة وزارة يوغوسلافيا شعر بالميل الى تقليد ما رآه ليس فقط فى برلين ولكن فى روما أيضا .

فاعد اجتماعات فى كثير من المدن والقرى كان لا بد من أن يحضرها الاهالى جميعا ، وكان يحضر فى سيارة فخمة يقف فيها مستقيما وقد مد ذراعه على الطريقة المعروفة جدا ، وكان اتباعه المختارون وأكثرهم من رجال البوليس الملكى فى الملابس العادية يصيحون إطاعة للأوامر الصادرة لهم « فودجا » (ومعناها فوهرر) فى نغمة منسقة يتابعهم الجمهور فى ترديدها . والآن كل من رأى أعوان سنيور موسولينى الذين يسمون « أدوناتاس » سيتذكر صياحهم المنغم : دوتشى .. دوتشى .. دوتشى .. الذى لا يلبث بعد فترة أن يشبه : شى دو شى دو » ، وقد يكون هذا المثال هو الذى أوحى إلى فلاحى كراجو جيفاك فكرة الصياح : «دجا .. فو .. دجا .. فو » بدلا من فو .. دجا .. فو .. دجا » وكلمة « دجافو » معناها الشيطان . ولعل هذه هى أدق ترجمة لكلمة « فوهرر » و « كيسلنج »

وكان لفلاح كراجو جيفاك رأيه الخاص فى أستوجادينوفتش فهو عندهم «كيسلنج» هتلر رقم ١ فى البلقان. وكان لاستوجادينوفتش حرس قوى فى « رودنك » حيث ولد وكان تسليح هذا المكان أمر له خطره لما يتوقع من التابور الخامس

دكتور فرتز كلاوزن وهر فوجيلسانج

كيف سقطت دانيمارك

يستحق العمل المدمر ، الذى عمله التابور الخامس النازى فى داخل دانيمارك ، أن ندرسه . فدانيمارك ، على صغرها ، قد قاومت الالمان فى شجاعة عظيمة سنة ١٨٦٤

أما فى سنة ١٩٤٠ فقد أذعنت لاستيلاء ألمانيا عليها دون أن تطلق رصاصة واحدة فى الغالب

وكان لدانيمارك دائما مكانة هامة فى مشروعات هتلر السرية . فلأسباب عديدة جذبته هذه البلاد اليها جذباً شديداً . فمحصولها الزراعى - وبخاصة شحم الخنزير والزبدة ، كبير جداً ، حتى ان ألمانيا لو وضعت يدها عليه لخففت متاعبها فى مسألة الطعام لدرجة كبيرة لبضع شهور على الأقل .

كذلك لعب الفن العسكرى دوره ، فان دانيمارك تصلح أن تكون رأس الجسر الذى يؤدى الى غزو نروج وسنويد . وفوق ذلك تقع مقاطعة جتلند (التى كانت سابقا شليزويج الشمالية الألمانية) وفاقا لرأى هتلر ، فى « الحدود الدامية » و « المناطق الألمانية التى لم تسترد بعد »

وكانت شليزويج الشمالية التى وقعت بين يدى بروسيا بعد حربها

مع دانيمارك سنة ١٨٦٦ قد اعيدت لدانيمارك بمعاهدة فرساى، على أثر استفتاء عام ظهر فيه أن الاغلبية العظمى، التى بلغت ٨٥ فى المائة، ترفض البقاء فى حكم ألمانيا ـ والوصف الآتى منقول عن بلسكيرن بكوبنهاجن :

« لم يكد النازى يصلون الى الحكم فى سنة ١٩٣٣ حتى تخطت الحدود صيحة : شليزويج العليا يجب أن تعود الى الريخ . وفى الحال أجابت الأقلية الألمانية فى جنوب جتلند على هذه الدعوة معلنة فى التو أن إعادة تنظيم الحدود انما هى جزء من برنامجها ، وكانت الفكرة التى سادت دانيمارك هى أن التهييج الألمانى سيكتسح البلاد

على أن تطور حركة « العودة الى ألمانيا » قد كبح مع ذلك ، لأول مرة على غير انتظار بالشقاق الداخلى بين الألمانيين أنفسهم . فقد تقدم منهم للزعامة مرشحان يزعم كلاهما أنه حامل علم النازية الحقيقية . وكسب كل منهما انصاراً ، وكان القتال الذى نشب بين هذه الجماعات بالقول وبالفعل أشد عنفاً مما حدث بين المعسكرات الدانيماركية والألمانية فى أى وقت مضى .

« وأخيراً ناصر نازى ألمانيا أحد الزعيمين جنيس موللر ، جراح بيطرى ، وبذلك ابعد الزعيم الثانى « جيب نيسن »

« واسرع الالمانيون فى احصاء جميع الرعايا الالمان المقيمين فى جتلند الجنوبية إحصاءا دقيقا وسجلوا أسماءهم وأصدر زعيم البلاد بين أوامر اليوم الخطيرة امرا بانشاء مكتب للدعاوة .

« وعين مديرا لهذا المكتب شاب اسمه رودولف استيهر كان قد

درس أساليب النظام الألمانى ، وأعد الآن كل شيء لتوحيد النظام الحربى بطريقة منتظمة ، فكانوا يعملون فى خلايا صغيرة ، وكل عدد من الخلايا يكون مجموعة ، وهذه المجموعات تؤلف الحزب .

« وفوق ذلك بذلت المحاولات ، فى المناطق الدانيماركية الخالصة على الحدود ، لتسجيل أسماء الأشخاص الذين كانوا على الدوام جيرانا حسنى العشرة للأهالى الدانيماركيين . ولم يقتصر الأمر على الزج بالأشخاص الذين بلغوا سن التصويت فى التشكيلات السياسية ، ولكن ارغم الصبيان وحتى الأطفال على دخول تشكيلات ذات طابع عسكرى ، حيث يعلمون المشى فى توابير والاشتغال بحركات الميدان .

« ولما ضمت المانيا ، على حين فجأة ، بوهيميا ومورافيا ، ادركنا أن الألمان قد تخطوا الآن اهدافهم السابقة ، التى كانت منحصرة فى « تحرير الألمان » فيما وراء الحدود الألمانية . وقد استغل هذا الشعور الألمانيون المقيمون فى دانيمارك ، الذين كان واضحا أنهم يتبعون أوامر من الخارج فقالوا للشعب أنه لن يكون هناك انتخاب ، لأن هتلر سيأتى قبل يوم الانتخاب ، فأخاف هذا القول ضعاف القلوب وبذلك شلت جميع الحركات . وبلغ الأمر بهؤلاء الألمانيين أن حددوا اليوم الذى سيصل فيه الفوهرر ، فجعلوه قبل موعد الانتخاب بيومين . ولكن عندما حل هذا اليوم بالفعل حددوا موعدا جديدا .

« وقبل يوم الانتخاب بعشرة أيام أرسل من المانيا إلى حدودنا مائة ألمانى من تلاميذ ما يسمى « مدرسة الزعيم » فى « بلوفن » وكانت مهمتهم

التهييج واثارة الشغب فى بلادنا . كذلك ارسلت من المانيا اعلانات انتخابية أغلبها مكتوب باللغة الدانيماركية . وبالطبع قد كسب الألمان بهذه الوسائل بعض الأصوات ولكنهم لم يحصلوا على كراسى جديدة »

* * *

والدكتور فرتز كلاوزن المعروف « بهتلر دانيمارك الصغير » هو أحد أبناء مقاطعة جتلند الجنوبية . وهو زعيم أكبر الجماعات النازية المختلفة فى دانيمارك ، وتسمى جماعة « حزب العمال الدانيماركيين الاشتراكيين الوطنيين » . والدكتور كلاوزن طبيب ريفى غليظ فى جسمه على طراز جورنج . ويبدو وجهه المتنفخ بذقنه المزدوجة صغيرا بالقياس إلى ضخامة جسمه . وللرجل عينان ضيقتان تنظران إلى العالم نظرة غير ودية بل هى أقرب إلى النظرة الوحشية الحادة .

ويلبس كلاوزن الملابس العسكرية فى كل مناسبة ممكنة ، وملابسه نسخة طبق الأصل من ملابس فرق الهجوم الألمانية ، قميص رمادى ورباط رقبة أسود ، وقبعة رمادية ، وحذاءان سوداوان غليظان فى منظرهما .

ودكتور كلاوزن فى السابعة والاربعين من عمره وهو يعد نفسه دانيماركيا أصيلا ويفخر بأن أسرته ، وان كانت من شليزويج الا أن عروقها لايجرى فيها شىء من الدم الالمانى . وصحيح انه تلقى العلم فى الجامعات الالمانية بهيدلبرج وفريبرج ، وانه فى الحرب العظمى قاتل فى صفوف الالمانيين فى الميدان الشرقى الى أن وقع أسيرا فى يد الروسيين ولكن يرجع ذلك كله الى أن وطنه كان حتى ذلك فى الوقت تابعا لالمانيا

ويصر دكتور كلاوزن على القول بأن اشتراكيته الوطنية مسألة دانماركية خالصة ، ولكنها لا تمنعه من تقليد الحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى ليس فقط فى برنامجه العام ، ولكن أيضا فى أوضاعه الخارجية.

واجتماعات كلاوزن وأساليب دعاوته صورة صادقة من نماذجها الاصلية. وانشأ الرجل فرق هجوم وحرسا اسود. وجمع الفتيات والفتيان فى نظام مطابق كل المطابقة لحركة الشباب الهتلرى، وفى مواكبه الحزبية تتقدم الموتوسيكلات الصفوف غير الطويلة جدا من أعوانه لابسى القمصان . وفى قاعات اجتماعاته يدوى الجو بصدى الآلات الموسيقية النحاسية والاصوات الصارخة بالاوامر . وعندما يكون الاجتماع لسماع خطاب يلقيه الفوهرر على أتباعه يذهب الرجل إلى مكان الاجتماع فى حراسة جيش، على مثال ما يفعل هتلر ، وهناك يرى الانسان الحركات البربرية للصليب المعقوف ويسمع ضجة مكبرات الصوت التى يظهر انها لا تفارق جميع الاجتماعات النازية . وكان بيت القصيد من هذه الاجتماعات هو بالطبع الدكتور كلاوزن نفسه . وهو ، خطيبا ، عالى الصوت هائجه ، عنيف فى اشاراته اليدوية ولكنه ضعيف الحجة . وأى شىء استطاع حقا ان يعد به الدانماركيين ؟ لقد كانت البلاد محكومة حكما بديعا جدا ، وما بشىء مما يستطيع كلاوزن ان يذكره من حاجة الى اصلاح داخلى . اذن كان الرجل مقتنعا بتفسير المبادىء الدكتاتورية التى جاءت فى كتاب « كفاحى » فى سب المركسيين واليهود وتجريح الديموقراطية

وكان الدكتور كلاوزن يؤكد لسامعيه على الدوام انه لا علاقة له بهتلر وكان كثيرون من النازى فى دانيمارك وطنيين متطرفين وكان

يساورهم الشك القوى فيما يتصل بعلاقة كلاوزن ببرلين. وكانوا يعرفون، على الرغم من عبارات الانكار، انه على صلة شخصية وثيقة مع هتلر. وكانوا يتحدثون عنه بلا انقطاع فى الدوائر النازية الرئيسية فى المانيا باعتباره الفوهرر الدانيماركى. وكان هذا « الفوريرن » كما يسمى فى دانيمارك، يلعب فى جميع المناسبات والفرص دور « الاخلاص » الذى لعبه هينلين، الذى كان، على ماعرفنا، منكرا على الدوام علاقاته بهتلر.

وقد وصل الأمر بالدكتور كلاوزن حتى الى أن يعلن على الجمهور أن أية محاولة من جانب ألمانيا للاستيلاء على جتلند الجنوبية بالقوة ستجده فى طليعة المقاومين لها. على أن كثيرين من الدانيماركيين كانوا، على كل حال، يقابلون هذه التصريحات بالريب والشكوك، لأنه منذ زمن غير بعيد كانت آراء دكتور كلاوزن أقل جدا فى معارضة هتلر مما هى الآن.

وفى ١٤ ابريل سنة ١٩٣٨، فى المؤتمر السنوى لحزب شلزويج الشمالية النازى، الذى عقد فى « هادرسلف » بعد شهر من ضم النمسا، قال أحد المتكلمين الرئيسيين ان « كلمة السر » فى الحزب يجب أن تكون « لنكسب شلزويج الشمالية (جتلند الجنوبية) للاشتراكية الوطنية، كما كسبنا لها النمسا ».

وقد صاح دكتور كلاوزن فى هذا الاجتماع نفسه: « اننا لا نحاج فى مسألة الحدود، اننا نهزمهم بقوة أمتنا ». وليس ثمت من حاجة الى التساؤل عما قصده الفوهرر الدانيماركى بكلمة « أمتنا ».

وبعد سنة من استيلاء هتلر على تشيكوسلوفاكيا، عبر كلاوزن عن

موافقته على هذا العمل فى عبارات لا تتفق مطلقا مع الوطنية الدانيماركية. ولقد كان بيانه الذى قارن فيه ، قبل شهر واحد من الغزو الألمانى ، بين المركز فى دانيمارك والمركز فى تشيكوسلوفاكيا هو البيان الذى قال فيه ستاونتج رئيس الوزارة أنه « كلام رجل خائن »

ويعمل دكتور كلاوزن وحزبه « حزب العمال الدانيماركيين الاشتراكى الوطنى » يداً بيد مع تنظيمات الاقلية الألمانية ، والحزب الاشتراكى الوطنى فى دانيمارك » . وقد بدأت الاضطرابات فى دانيمارك كما بدأت فى النمسا وتشيكوسلوفاكيا، بالتحكم الاجنبى فى اقتصاديات البلاد

وقد كان كل ماهناك ، على أية صورة قلبنا الامر ، أن رئيس الوزاره الدانيماركية مسيو استاونتج ،ووزير الخارجية الدانيماركية مسيو «مونش» لم يجرؤا على أن يفعلا أقل شيء لا يوافق عليه هتلر،ولم يكن فى مقدورهما أن يشتريا بندقية بدون اذن المانى .

ولم يكن يسمح بنشر أية صورة كاريكاتوريكية لهتلر فى الصحف الدانيماركية . وكانت وزارة الخارجية تعاقب ، بأمر برلين ، على كل نقد يوجه الى المانيا . ووضع الالمانيون علنا نظاما لمشترى أراض دانيماركية

وكان رئيس هذه الهيئة محاميا المانيا اسمه « فوجلسانج » ، وقد حصل على آلاف الافدنة من الاراضى الدانيماركية ، وأقام على زراعتها فلاحين من أصل المانى ممن يناصرون النازى . وكان المعتقد أن الحزب قد حصل على مساعدة مالية من جماعة معينة من ملاك الأراضى وقادة الصناعة الدانيماركيين ، ولكن الحقيقة ، بالطبع، هى أن المال جاء من برلين

وقدمت القروض للمزارعين الدانيماركيين في مناطق الحدود على شرط أن يرسلوا أطفالهم الى مدارس الاقلية الالمانية فى دانيمارك ، حيث يتلقون الآراء النازية من أساتذتهم ، وأسكن فوجلسانج الجواسيس والدعاة الالمانيين مدينة كوبنهاجن وكانوا يسمون « صحفيين » ولكنهم كانوا يستخدمون فى أعمال التآمر والتخريب .

وعمل فوجلسانج اكثر من ذلك ، فقد انشئت المدارس الألمانية فى دانيمارك الجنوبية باعتمادات مالية ألمانية ، وقد استخدمت جميع المغريات والمرغبات للحصول على أطفال من الذين يتكلمون الالمانية والدنيماركية لتعليمهم فى هذه المدارس .

وأغرى الألمانيون كبار الملاك وذوى الالقاب الدنيماركيين بمختلف وسائل الاغراء ليتولوا زعامة حركات مناصرة للنازى .

وتعود رئيس الجالية الألمانية فى كوبنهاجن أن يبعث إلى أتباعه بأسئلة مثل : كم عدد السيارات والموتوسيكلات واللوريات التى تمتلكونها

ومن هذه الاسئلة : « هل تملك آلة كاتبة ؟ وهل تعرف الكتابة بالاختـــزال ؟

وقد كشف البوليس فيما بعد أن كلمة « آلة كاتبه » يقصد بها البندقية وكلمة « الاختزال » يقصد بها « اطلاق النار »

وكانت الحكومة على علم تام بما هو حادث من الاخبار عن حركات السفن وتسجيل المنارات وغير ذلك .

وقد قال رئيس البوليس الدانيماركى لمراسل جريدة « سنداى

اكسبريس » اللندنية : « إنه ليصعب أن يصدق الانسان أنه من الممكن أن تبلغ الجاسوسية المدى الذى بلغته الآن فى دانيمارك ».

وقد بقى نظام التجسس بمحطة اذاعته اللاسلكية السرية وقانون اصطلاحاته خفيا لم يكشف عنه الستار .

وكان سلوك الاسطول وسلاح الجو الالمانيين حيال دانيمارك سلوكا مهينا على الدوام . وكانت الفكرة هى تحطيم ارادة المقاومة فى نفوس الدانيماركيين . وقد فتش الاسطول الالمانى وراقب الخسمائة الجزيرة الدانيماركية بدون اذن .

وبينما تكون الغواصات الدانيماركية راسية فى أحد المرافئ الدانيماركية اذا بطائرات سلاح الجو الالمانى تنقض عليها وتدور واطية فوق رؤوس الملاحين .

وكانت الطائرات الألمانية تحلق اسرابا فوق البلاد الدانيماركية كما لو كانت بلادا المانية .

وبينما كانت السفن الحربية الدانيماركية تتدرب فى مياهها الاقليمية كانت زوارق الطوربيد الألمانية تظهر فى وسطها وتقاطع خطوطها .

وكانت زيارة جورنج الدانيمارك سنة ١٩٣٨ جزءا من الخطة المرسومة لارهاب الدانيماركيين . فقد وصل اليها فى يخته الفخم العظيم وتفقد بمنظاره المكبر احدى القواعد الجوية الرئيسية للجيش الدانيماركى والتى نظرة على الاحواض الصناعية الرئيسية ، وساح حول الشاطىء الدانيماركى تحرسه سفينتان حربيتان المانيتان .

ولما نزل الى الشاطىء وحاول أحد المخبرين أن يتحدث اليه اسرع أحد رجال حرسه الخاص فاخرج مسدسه من منطقته فى سرعة البرق .

وفى الوقت نفسه الذى كانت قوات المانيا المسلحة تعامل فيه دانيمارك كما تعامل دولة مقهورة لم تنشىء دانيمارك نفسها أى نوع من أنواع المقاومة للضغط الالمانى . ولم تحاول الحكومة الدانيماركية تحصين الحدود الدانيماركية الالمانية .

وكان مجموع رجال الحرس على هذه الحدود ٥٠٠ رجل وهو رقم أقل من عدد النازيين الموجودين فى المنطقه . وكانت قوة الدفاع الجوى عن كوبنهاجن لاتزيد على ١٢ مدفعا حديثا وبعض المدافع القديمة .

وهكذا عندما اندفعت القوات النازية إلى دانيمارك كانت القدرة ـ أو بالاصح إرادة الدفاع ـ قد سلبت منها .

وأخذ الناس فى كوبنهاجن يكررون علنا التورية باسم فوجلسانج ومعناها « أغنية الطائر » فيقولون : « إن ما يغنيه الطير يصفره دكتور كلاوزن »

لقد كان دكتور كلاوزن خائنا لوطنه ذا وجهين فكان كيسلنجيا حقيقيا .

كيسلنج نفسه

استقالت حكومة كولستاد النرويجية فى مارس سنة ١٩٣٣ ، وفى ١٦ مارس نشر وزير الدفاع فى الحكومة المستقيلة مقالا عنوانه : « علامات الوقت » ألح فيه على ضرورة اعلان « ثورة قومية شمالية » ودعا الى « جمع الفصائل »

وكان هذا الوزير هو الماجور فيدكون كيسلنج .

ولم تكن فترة نشاطه الوزارى فترة سرور صاف من الشائبات . فقد كانت السنتان اللتان قضاهما فى الوزارة مملوءتين بالمنازعات والحوادث الغريبة . ولم يفسر أحد قط محاولة الاعتداء على الوزير فى وزارته وكان ظاهرا انها من عمل بعض الشيوعيين . وقد صرح بعضهم بأن هذه المحاولة مسألة خيالية محض ، وانها لم تدبر إلا لتكون عذرا من اتهام خصوم كيسلنج وعلى الأخص ممثل حزب العمال . ومع ذلك وكد قوم آخرون أن مسألة غرام سرى كانت هى السبب الحقيق فى محاولة الاعتداء .

وفى ابريل سنة ١٩٣٢ عقد مجلس خاص لبحث التهم الموجهة ضد كيسلنج ، وكان قد اتهم بالاشتراك مع الخونة . ولكن المجلس لم يجد أدلة كافية لتبرير الاتهام . .

ومع ذلك فقد ضعضع مركز وزير الدفاع بعض الشىء ، وكانت

استقالة الوزارة كلها هى التى انقذته من أن يقدم مضطرا استقالته بيده

وفى ١٣ مايو سنة ١٩٣٠، على أثر تولى كيسلنج الوزارة بزمن قليل مات فريد تشوف نانسن فى التاسعة والسبعين من عمره. فكتب كيسلنج لمناسبة وفاته الكلمة الآتية فى جريدة ديمقراطية برجوازية: «من الضرورى ان نعود الى أيام قيصر وأوغسطس لنعثر على مثل هذا الواجب الهائل يوجهه وينفذه رجل واحد»

وقد اظهرت هذه الكلمات الاعجاب غير المحدود الذى كان كيسلنج يشعر به نحو نانسن المحامى الاوربى القوى صاحب فكرة «عصبة للامم» وخالق كثير من التنظيمات الخيرية الدولية.

لم يكن هذا الاعجاب مصطنعا بل كان مبنيا على اشتراك الرجلين أحدهما مع الآخر سنوات طوالا. فقد كان كيسلنج، وفاق بعض التعبيرات، خبير الحكومة النروجية فى المسائل الروسية. وكان من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩١٩ ومن سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٢٩ ملحقا عسكريا بالسفارة النروجية فى موسكو، وكثيرا ماقابل لينين ولم يكن غير متأثر كلية بالآراء الشيوعية

ولما بدأ نانسن لأول مرة فى سنة ١٩١٩ حملة انقاذ روسيا من المجاعة ونظم هذه الحملة، كانت المعلومات التى تلقاها من الملحق العسكرى فى موسكو ذات قيمة كبيرة. ولم تلبث المزاملة بين الرجلين فى العمل أن أصبحت مسألة دائمة فقد عين كيسلنج رئيسا لبعثة الانقاذ فى اوكرانيا.

وازداد الاشتراك بينه وبين نانسن توثقا وقوة، ولما وصل نانسن

الى آخر جزء من عمل الأنقاذ لمساعدة الارمن عين كيسلنج سكرتيرا لمجلس الانقاذ المؤلف من الخبراء والذى كان نانسن رئيسا له .

وقد يحق للانسان ان يتساءل ألم يكن كيسلنج بالفعل وكيلا ألمانيا الى حدما ، فى الوقت الذى كان يعمل فيه سكرتيرا للرائد العظيم ؟ وقد أسر نانسن ، قبل موته الى أقاربه ، بخوفه على مستقبل المانيا وهى بلاد كان لايزال يحبها ولكنه كان يراها مقتربة من الهاوية . وقد قال :

« انى أحب المانيا الفلاسفة والشعراء . وأخاف المانيا المسترزقين العجزة واللصوص النهابين »

وكان فى هذه الفترة أن أتم كيسلنج مفاوضاته مع بعض بيوت النشر الكبيرة فى ليبزج لطبع ونشر بعض مراسلات نانسن الخاصة التى أراد أن يضمنها ، فى صورة حواش ، بعض آرائه الشخصية فى السياسات الاوربية . فرفض نانسن توقيع العقد الذى قدمه له سكرتيره قائلا فى شىء من التبرم : « انى عندما أرسل خطابا لصديق أفضل أن اكتب الحاشية بخطى »

انضم كيسلنج إلى حزب المطالبين بتوزيع الثروة ، بعد موت صديقه العظيم مباشرة . وكان الرجل من الوجهة السياسية من جماعة الشمال إلى أن انضم لهذا الحزب ، فعندئذ اتخذت سياسته الاتجاهات الدكتاتورية . ولما سئل : كيف يبرر هذا الانقلاب التام فى السياسة فى حين كان نانسن نفسه على الدوام ديموقراطيا جدا ؟ أجاب : « اذا أردت أن تصل إلى غايتك فيجب عليك أن تسير مع الريح لا ضدها . »



وبعد شهرين من ذلك التاريخ فاخر كيسلنج بقوله « سأصبح وزيرا في سنة واحدة ، ورئيسا لمجلس الوزراء فى سنتين ، وإله نروج القوى القدير فى ثلاث سنوات »

وقد استطاع مع ذلك أن يحقق فقط المرحلة الأولى من برامجه ، وقد تميز ، وزيرا ، بنقص فهمه النفسية النروجية .

وبعد استقالته الاجبارية الف حزبا جديدا سماه حزب « الاتحاد الوطنى » وهو الحزب الذى قلد ، فى حقارة ، برنامج هتلر وأساليبه .

وكانت جريدة كيسلنج اليومية « الامة الحرة » ورقة دعاوة نازية أشبه ما تكون بالكلب المسعور . وقد استمرت عدة سنوات وهى تصدر مرة واحدة فى الاسبوع ، وقبل الغزو الألمانى ببضع أيام ظهرت يومية .

وقد ألقى اتفاق ميونيخ بكيسلنج فى وهدة اليأس، فقد كان يحلم بحريق أوربى هائل يتمكن بواسطته من القبض على زمام السلطة المشتهاة ، وفى مساء سفر مستر تشامبرلن من ميونيخ كتب كيسلنج لصديق له فى بلجيكا يقول:

« الحرب مقبلة لا يمكن اتقاؤها ، فالسياسيون الديموقراطيون لن يتراجعوا إلا إذا أثيرت الجماهير عليهم . ولا مصلحة لالمانيا فى أن تراهم يتراجعون . انها الآن فى أوج مجدها . فيجب أن تشعل النار فى العالم أولا فقد قضى عليها بالانفجار »

فهل هناك ما هو أخطر وأظهر معنى من هذه الكلمات ؟

وبعد أن قرأ الصديق ذلك الخطاب لم يعد ينخدع فيما يتصل باخلاق كيسلنج

* * *

كان تافها جدا نجاح حزب كيسلنج بين النروجيين فى تحريضهم على إنشاء « اتحاد الأمم الشمالية » . وفى الانتخابات العامة لم يستطيع أن يحصل إلا على ٢٨ الف صوت من مليون ومائتى وواحد وأربعين الف صوت مسجلة فى قوائم الانتخاب ، ولكن الماجور كيسلنج لم يكن يهمه أن يكسب الجمهور بقدر ما يهمه أن يدفع الى الخيانة بالرجال الذين يتولون المراكز الرئيسية — من ضباط وموظفين ممن تمكنهم مراكزهم من العمل لمصلحة الالمانيين بتسليم الحصون والمطارات وخطوط الدفاع فى البواغيز والخلجان لايدى الجيوش الالمانية الغازية بدون قتال ، واذاعة جميع الاسرار المتصلة بجميع أعمال الدفاع البرية ، وبتعجيز الجيش والاسطول عن كل حركة بما يرتكبون من أعمال التخريب على مدى واسع

كسب كيسلنج حلفاءه بالاموال الالمانية . وكانت المبالغ الكبيرة التى وضعتها ادارة المخابرات السرية الالمانية تحت تصرف كيسلنج لحساب التابور الخامس حجة أقوى جدا من الحملات العنيفة التى يحملها الفوهرر الدانيماركى على البلشفية وعصبة الأمم والحلفاء .

واذ كان كيسلنج معتمدا الاعتماد التام على برلين فقد وقف إلى جانب « ستالين » فى الحرب الروسية الفنلندية على الرغم من عداوته للبلشفية ، فانغمر فى حركة تحريض عنيف ضد كل مجهود بذله الوطنيون النرويجيون للاحتفاظ بالتماسك الاسكندنافى عن طريق الاسراع بمساعدة الفنلنديين وبتسهيل مرور جيوش الحلفاء فى الاراضى النروجية وحتى فى هذه الايام كان كيسلنج يستعد استعدادا حماسيا للاقتداء

« بكوزنين » الشق .

وسافر كيسلنج ، فى صحبة موظف من المفوضية الألمانية فى « اوسلو » الى برلين عن طريق السويد ، قبل الغزو الالمانى بفترة قصيرة جدا ، ليزور هتلر وربنتروب . وهناك درس مع الفوهرر التفصيلات النهائية لخيانته فحددا المواعيد الدقيقة للغزو بالاتفاق مع الرؤساء العسكريين المشرفين على الهجوم الوحشى الجبان !

وكانت تصريحات كيسلنج فى جوهرها هى ما يأتى : « لن يضطلع الجيش النروجى باية مقاومة . فقد انضم أغلب الضباط لحركتى . أما فيما يتصل بالجنود وصف الضباط فقد خدعتهم الدعاوة الشيوعية فهم أيضا سيفسدون كل مقاومة باعمال التخريب »

وفى الجملة لكى يحقق كيسلنج غرضه المزدوج الذى يقصد به الى اعلاء قيمته الشخصية من ناحية والى اغراء الالمانيين بالاقدام على المغامرة التى امل ان ينتفع منها ، مثل غزو نروج فى صورة نزهة حربية لا أكثر .

ولكن مقاومة النروجيين قد كذبت كيسلنج كما كذبت مقاومة الفنلنديين « كوزنين » من قبل

وعاد كيسلنج الى اوسلو فى ٦ ابريل ، وتلا ذلك احتلال العاصمة النروجية يوم ٩ ابريل .

وكان مستشار كيسلنج الفنى المانيا اسمه ايبر هارد كيرن

وكان هذا الرجل هو المنظم الفنى للخيانة . واذ كان محسوبا خاصة

على جوبلز فقد استطاع ان يصل الى أن يعينه هتلر فى سنة ١٩٣٣ فوهرر نروج فاتصل فى الحال بالوزير الالمانى المفوض فى اوسلو ووضع نفسه تحت حمايته الرسمية ليستطيع ان ينهض بمهمته .

وقد بدأ بتنظيم حزب النازى النروجى . واتسعت حركاته اتساعا شديدا حمل الحكومة النروجية على تقرير ابعاده عن البلاد . ولكن هذه الحكومة الاشتراكية اضطرت تحت الضغط الالمانى وكذلك خوفا من أن تفقد أصوات المتطرفين الى نقض قرارها بعد أربع وعشرين ساعة ومن هذه اللحظة أصبح تعاظم « كيرن » ولا حد لة فانشأ فى بيته جهازا لاسلكيا سريا ليتصل مباشرة مع الرؤساء ببرلين وانشأ أجهزة اتصال بالمكاتب الوزارية حيث أعد مايلزم لوضع مكبرات للصوت .

وكان شريك كيسلنج الآخر هو الكولونيل سندلو ، الرجل الذى سلم الالمانيين مرفأ نارفيك — الذى كان متوليا قيادته — كما سلمهم الاسطول النروجى

وكان الدور الذى لعبه سندلو ، المعروفة عواطفه النازية معرفة تامة ، قد رتب من مدة طويلة سابقة ، ومما يدعو الى الدهشة ان الحكومة النروجية قد استبقته فى مركزه ، وهى على علم تام بمبلغ تقديره «للشرف»

وكان سندلو بالفعل صديقا شخصيا حميما للجنرال فون بلومبرج ولما كان الاخير وزيرا للحربية فى المانيا سنة ١٩٣٥ سافر الى نارفيك ليرتب مع سندلو وسائل المؤامرة ، التى قد نفذت فعلا فى مواعيدها وفى دقة تامة .

وانه لتقع على ضمير سندلو تبعة ضياع بارجتين نروجيتين -وموت الثلثمائة والخمسين الرجل الذين كانت تتألف منهم بحارتهما .

فقد تلقت هاتان البارجتان الامر بالاشتراك فى الدفاع عن نروج جنبا الى جنب مع القوات البرية . ولما اعطى انذار التحذير فى ليلة الغزو كان عليهما ان تتقدما الى « فجورد أوراف » حيث كانت تستطيع السفن ان تقوم بالحركات اللازمة لمنع نزول الجيوش الالمانية الى البر. ولكن لكى يترك الميدان خاليا أمام الغزاة صدرت لهما الاوامر بالبقاء فى مرسيهما

وكانت ثلاث سفن حمولة كل منها الف طن على التقريب قد رست فى « بدل مجورد » منذ الاسبوع الثانى من شهر مارس . وقد بقيت هذه المدة تحت شعار مزيف فقد رفعت اثنتان منها العلم السويدى ورفعت الثالثة العلم الفنلندى . وبقى الجنود الالمانيون مختبئين داخل هذه السفن .

وفى فجر يوم الغزو أنزلت مدمرة المانية الى البر جماعات مسلحة . وكان كل شىء معداً لذلك ، لأنه فى أثناء الليل قطع وكلاء كيسلنج جميع أسلاك التليفون الموصلة إلى الحصون والى حقول الالغام المسيرة .

* * *

فبخيانة كيسلنج وسندلو وغيره من الضباط الأصغر منه رتبة والموظفين أصبحت وسائل الدفاع النروجية عديمة الفائدة فى ساعة الغزو

وقد وصفت دايلى تلغراف هذا الغزو فيما يلى :

« ما بين منتصف الليل والظهر من يوم ٩ ابريل سقطت عاصمة

نروج ومرافئها البحرية الرئيسية وأعظم حصونها الشاطئيـة قيمة بين أيدى الالمانيين كما تسقط الثمار التى تخطت دور النضوج .

« وكانت مضايق « اسلو فجورد » ملغومة تحرك الغامها من « دروباك » وفى الساعة الاولى والدقيقة الثلاثين من صباح ٩ ابريل ابطل عمل هـذه الألغام ، التى كانت بالفعل تجعل مدخل اوسـلو من البحر مستحيلا اجتيازه ، وذلك بقطع اتصالها الـكهربائى بمركز ادارتها فى « دروباك » . وقد مكنت هذه الحركة طرادا المانيا من اجتياز المضايق قبل الفجر .

« وفى الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين — وذلك قبل نصف ساعة من تسليم الوزير الالمانى البلاغ النازى النهائى للدكتور كوهت — وصل الى هورتن طراد المـانى ، يظن انه « ايمدن » مصحوبا بغواصتين .

« وكانت الثلاث البوارج الحربيـة النرويجيـة الواقفة هناك عاجزة العجز كله عن عمل أى شىء ، ولـكن واضعة الالغام الصغيرة « اولاف تريجفاسن » سدت طريق المضايق واطلقت فى الحال بعض طوربيدها فاغرقت الطراد واحدى الغواصتين »

كانت خيانة كيسلنج السافلة عاملا حيويا فى جميع ارجاء المعسـكر النروجى ، وقد وصف المراسلون المحايدون كيف كان مزعجا ان يرى الانسان الألم الذى استولى على شعور جماهير المجندين الذين وصلوا الى الثكنات ليشتركوا فى الدفاع عن وطنهم والسخط الذى ملك نفوسهم على الحـكومة الالعوبة التى منعتهم عن القتال

وعند ما وصلت دورية المانية من را كبي الموتوسيكلات الى حصن هالدن ، وضع الحرس النروجي الامامي أسلحتهم . ولم يكن لدى أى جندى رداء رسمي . فقد كان قائد الحصن يرفض طلباتهم الخاصة بالسلاح والذخيرة . ولما اتصلوا بهالدن تليفونيا بعد وصول الدورية الالمانية تلقوا جوابا لا يكاد العقل يصدقه هو « القوا أسلحتكم واختبئوا فى الغابة . »

* * *

فشل كيسلنج فى أن يحقق ماديا الجزاء الذى توقعه أجرا لخيانته ، ولو أنه قد عين رئيسا لما سمى حكومة ، بأمر القائد الالمانى العام الجنرال فون فالكنهورست ، على أثر احتلال اوسلو مباشرة . ولكن الجيوش الالمانية لم تستطع أن تقهر إلا قوة البلاد المادية أما روح الشعب النروجى فانها لم تستطع قهرها .

قابل الشعب النروجى بالمقاومة الشديدة كل مجهود بذله كيسلنج واتباعه ليتمكنوا من حكم البلاد ، فوجد الالمان أنفسهم مضطرين لان يطرحوا محسوب هتلر جانبا وان يركنوه على الرف ، وبعد أيام قليلة جداً أقيل كيسلنج وأعضاء وزراته القرقوزيه .

يضاف الى ذلك أن بعض الرجال الذين تكرم كيسلنج بتعيينهم فى مناصب وزارية ليشركهم فى العار الذى لحق به رفضوا فى سخط واحتقار أن تكون لهم به أية علاقة .

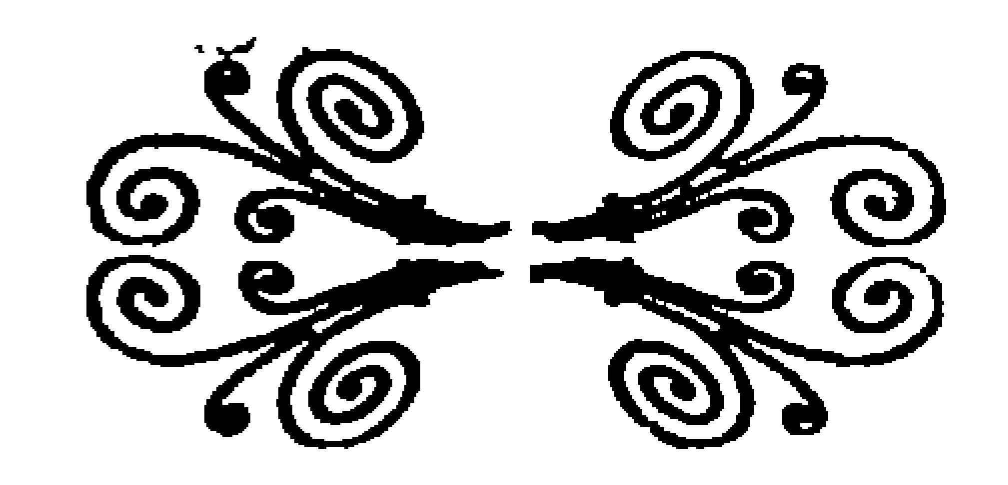
ولم يدر الماجور « هفوسلف » المنتدب وزيرا للدفاع الوطنى حتى بأمر تعيينه . وقد سار إلى ميدان القتال ليحارب الالمانيين على رأس

المتطوعين الذين عادوا من فنلندا الى وطنهم

أما « جوناس لى » رئيس الجندرمة النروجية الذى أقحم على منصب وزير العدل فقد كتب بخطه على ظهر خطاب تعيينه الذى أحضر اليه : « المرسل اليه لا شأن له بهذا »

أما فيما يتصل بوزير الزراعة فقد قبض عليه الشعب قبل أن يتمكن من الوصول الى مكتبه .

وهكذا اشتعلت النار فى جسم الخيانة . .



موسرت

الرجل الذى خان هولندا

كان القبض على واحد وعشرين من زعماء النازى الهولنديين ، قبل خمسة عشر يوما من الغزو الالمانى، وما حدث من تفكير «جونكهير دى جير» رئيس وزارة الاراضى الواطيه، فى أن من المناسب اعلان الشعب الهولاندى بهذا الاجراء عن طريق الاذاعة اللاسلكية ، مدعاة للدهشة العامة .

فالهولاندى الذى سنحت له فرص عديدة لاحظ فيها الحركات الخطرة التى كان يقدم عليها رجال التابور الخامس، لم يعد يصدق ان الحكومة يمكن ان تتخذ أية خطوة حاسمة ضد الخونة حتى ولو كان ذلك فى مدى ضيق جداً . فلما اتخذت هذه الخطوة بالفعل قوبل ذلك بالموافقة العامة من البلاد . وقليلون جدا هم الذين ادركوا ان هذا العمل جاء متأخراً جداً ، وان الحوادث ستجرى فى مجراها حتى ولو لم يكن الواحد والعشرون الرجل ، المودعون السجن ، تحت تصرف هتلر فى لحظة الغزو

وقد دهشت الدوائر العليمية اذ لم تجد بين المقبوض عليهم هر انطون موسرت ، الزعيم الرسمى للكيسلنجيين الهولانديين ، والرجل الذى لم يمض وقت طويل على تصريحه بأنه فى حالة هجوم المانيا على هولاندا لن يساعد أعضاء حزبه فى الدفاع عن البلاد ولكنهم سينظرون الى ما يحدث وهم مكتوفو الأيدى

وليس من شك فى أن موسرت كان هو المقصود باشارة رئيس الوزارة عندما قال:

« لم يتخذ أى اجراء ضد أشخاص كثيرين قد يكونون موضعا للشبهات. لانه لم تتوافر لدينا الأدلة الجدية على اداناتهم باحداث حركات خطرة ».

وواضح أن أنطون موسرت الذى عينه هتلر رئيسا للتابور الخامس فى هولاندا كان حريصا على أن يتجنب الاقدام علنا على الأعمال غير المشروعة التى قد تبرر القبض عليه. كذلك ترك الدكتور سايس — انكوارت النمسوى وكونراد هينلين التشيكوسلوفاكى ، الأعمال القذرة لغيرهما ، ليكونا أحراراً مطلقى السراح عند ما « يأتى اليوم » وقد تبع « موسرت » السياسة نفسها.

وقد برهنت الحوادث المحزنة التى ترتبت على الغزو الوحشى الذى منيت به البلاد ، ان « موسرت » كان مثل جميع الكيسلنجيين الآخرين كذابا ومنافقا حقيرا ، فانه وأعضاء حزبه لم يجلسوا فقط هادئين « مكتوفى الأيدى » ، ولكن الأمر كان على العكس من ذلك فلم يبق هناك عمل واحد من أعمال الخيانة الخسيسة لم يرتكبه التابور الخامس الهولاندى . فقد ثبت أن موسرت ورجاله كانوا فى عملهم أشد حذراً جدا وأكمل اتقانا ودقة من رفاقهم النروجيين.

وان ما حدث من أن الضابط الشجاع الذى اختير لنسف جسر «موردك» — وهو عمل حيوى فيما يتصل بالدفاع عن هولاندا وبلجيكا — قد قتل برصاصة اصابته فى ظهره من يد أحد أتباع «موسرت» المتحمسين،

ليدل على الشيء الكثير فيما يتصل بتكوين عقل هؤلاء القوم. وينطبق هذا الأمر نفسه على القائمة الطويلة بأسماء المغضوب عليهم من الألمانيين التى وجدت بين أوراق أحد قادة المراقبين العسكريين عند ما أخرج من احدى قاذفات القنابل الألمانية التى اسقطتها المدافع المضادة للطائرات . فقد وجدت فى هذه القائمة أسماء بعض الوزراء ، والضباط الصغار ، والموظفين والسياسيين والصحفيين الذين كان مقررا اعدامهم جميعاً على أثر احتلال البلاد مباشرة .

وأفشى الكيسلنجيون الهولانديون لهيئة أركان الحرب الألمانية كل ما يتصل بمشروع اغراق منطقة الدفاع ، وأوصلوا إلى الريخ الثالث عدداً لا يحصى من الملابس العسكرية الهولاندية ليلبسها الجنود الهابطون بالمظلات الواقية . وخبأوا آلافا من الجنود الألمانيين الذين أدخلوا الى البلاد خلسة عن طريق التهريب ، فى الصنادل المسطحة القاع فى نهر الرين ، وكان ذلك قبل الغزو مباشرة ، ونزعوا المواد المفرقعة التى كانت معدة لنسف الجسور وسكك الحديد وخزانات البترول ، ووضعوا بديلا منها اكياسا مملوءة بالرمل . وكانوا يشيرون من فوق الاسطح ومن النوافذ لقاذفات القنابل الالمانية التى تجلب الموت والخراب لوطنهم ، واستعملوا الاسهم النارية والشعل فى ارشاد الطائرات التى كانت تحمل جنود المظلات الى مطار شيبهول ووالهافن .

وإتماما لقصة هذه الخيانة المتناهية فى الفظاعة ، هاجم مئات من النازى الهولانديين ، من الوراء ، مواطنيهم الذين كانوا يحاربون الغزاة

فكانوا يطلقون عليهم المدافع الرشاشة، وكانوا يقتلون الجنود ورجال البوليس الاقوياء الشجعان المخلصين بالقنابل اليدوية والمسدسات الاوتوماتيكية الالمانية التي خبأوها منذ أشهر عديدة.

هناك طرازان من « هتلر الصغير » : الاول الاشخاص الطوال الرشاق الذين يناسبهم لباس الحرس الاسود مناسبة تامة. وانك لتدرك في الحال من شكل جمجمته الطويلة وتقاسيمه الدالة على التعصب أنه لا يمكن أن يكون إلا نازيا

والطراز الثاني هو الرجل الجسيم الاحمر الوجه ذو الجبهة المستديرة والذقن المزدوجة، الذي يخفي عادة آراءه الحقيقية وراء ابتسامة مصطنعة. وهذا الطراز يخدع منظره الخارجي كثيرين من الناس، الذين يظنونه غالبا « سليم النية في أعماق نفسه ». كذلك يميل الناظر اليه الى حسبانه رجلا من ذوي الآراء العصرية وان تكن أعماله تثبت العكس من ذلك.

ومن هذا الطراز الأخير أو بعبارة أخرى طراز جورنج « مينير انطون موسرت ». ولم يكن هذا الرجل يحسب جميع النازي الهولنديين من أعوانه وان لم يكن عددهم كبيرا. ولكن حركته الاشتراكية الوطنية كانت أعظم شأناً من حركات جميع الفرق الهتلرية المختلفة التي كانت على الدوام في نزاع داخلي.

كان انطون موسرت مهندساً في « اوترخت واترستاد »، وكان موظفا غير معروف بكفايته الفنية بقدر ما هو معروف بتطرفه السياسي.

المطلق العنان ، الواضح من أحاديثه العديدة المطلقة من كل قيد . ومنذ سنة ١٩٣٧ لم يكن يشتغل بشيء غير السياسة . وقد قررت الحكومة الهولاندية فى يوم من الأيام أن الدولة لا يجوز لها أن تدفع مرتبات للموظفين الذين يحرضون عليها ويتآمرون على النظام القائم فى جميع مرافق البلاد ، وهكذا كان على الموظفين الهولنديين المنتمين الى الاشتراكية الوطنية ان يختاروا بين الامتناع عن حركاتهم السياسية التى كانت خطرا على الدولة أو الفصل من مناصبهم الحكومية ، فقرر « موسرت » ان يستقيل وان يعمل فى السر لتقويض دعائم بلاده .

وكان وجه «هتلر هولاندا الصغير» خشنا قبيحا فى تناسب أعضائه ، كان أنفه قصيرا عريضا ، وهو حين يتكلم ينفرج فمه كله عن أسنان عديدة جداً ، وأذناه كبيرتان قبيحتا المنظر ، وقد قص شعره قصيراً جدا على الطراز العسكرى . وعلى الرغم من إعلانه نفسه زعيما لحركة معادية للرأسماليين ، كان يبحث عن مؤيدين له من بين أصحاب الأموال أول كل شيء . ومع ذلك كانت الاشاعات تؤكد أن رجال الاعمال الأغنياء ومديرى الشركات ، الذين كانوا فى وقت من الاوقات منضمين إلى حركته لم يضعوا مبالغ كبيرة تحت تصرفه ، وانه لم يبحث عن أصحاب رؤوس الأموال ويضمهم الى قوائم أعضاء حزبه إلا لكى يخفى عن الناس المصادر الحقيقية للأموال التى يستخدمها فى أعمال التهييج والدعاوة . والاعانات التى كانت تجيئه من المانيا .

وقد برهن موسرت فى النواحى الاخرى أيضا على انه كان زعيما

حزبيا حريصا . فقد كان أساس حركته نازيا خالصا ، ولم يكن بين برنامج هتلر وبرنامجه خلاف جوهرى . ولكنه كان ، على النقيض من زعماء النازى الهولانديين الآخرين ، اذا أراد أن يتحبب الى الجمهور تجنب توكيد عبارات تأباها اسماع الرجل الهولاندى . فكان يحرص مثلا على أن لا يؤيد أية دعوة الى اتحاد هولاندى المانى .

وهو على العكس من ذلك كان يرى من الاهانة له أن يتهم بانه يرغب فى توسيع حدود الريخ وكان يرفض هذه التهمة فى حدة . فكان يقول انه من « المحقق » أنه يريد أن يكون نظام الحكم دكتاتوريا . وانه كان يريد حركة احياء قومى معارض للديموقراطية ويريدها مطلقة من كل قيد . وانه بالطبع يعمل لبث الكراهة الجنسية فى النفوس وللأخذ بقوانين نورمبرج !

ولكن هــذا كله لا يكون إلا فى حدود المملكة الهولاندية وامبراطوريتها الاستعمارية ، وبدون الغاء نقط الحدود بين الأراضى الواطية والمانيا .

والحق إن ذوى النفوذ من النازيين الهولانديين ، غير موسرت ، كانوا أصرح منه فى ابداء آرائهم ، فقد جاء مثلا فى جريدة « نييف ندرلاند » التى يملكها مينهير أميل فيرفيير ، ان الهولانديين يكونون أقدر ، فى المستقبل ، على الاحتفاظ بلغتهم نقية من كل شائبة ، فى داخل حدود الريخ ، منهم على ذلك اذا استمرت الحال الحاضرة .

وفيرفيير الذى يؤيد مثل هذه السياسة هو الذى أوحى باقامة نظام

نازى فى هولاندا قبل أن يظهر موسرت على المسرح بوقت طويل . وكان يسمى نفسه فى اجتماعاته «الفاشستى الهولاندى الأول» ويكرر ذلك على الاستمرار حتى لكأنه يعد حليفه موسرت دخيلا .

ولم يكن أقل من ذلك مضايقة لموسرت عمل البارون فان رابارت الذى جعل نفسه ، فى دائرة أصدقائه الضيقة ، مستقلا ، ولايضاح موقفه سمى جماعته النازية : «جروسدتشلاند» أو «المانيا العظمى» وكان يظهر فى الاجتماعات العامة فى ملابس الحرس الأسود على الرغم من تحريم الحكومة لبس الملابس النازية . فلما قبض على البارون ابتهج موسرت وان لم يكن بالطبع قد أظهر سروره بل وحتى قد احتج علنا على هذا القبض .

وكسب موسرت أكبر عدد من الانصار بالدعوة الاقتصادية ، ليس فقط لأن فى هولاندا ، كما فى ممالك أخرى كثيرة ، يمكن كسب طبقات معينة من الناس بالثرثرة الاقتصادية ، ولكن أيضا لأن مؤيده الدكتور م. م. روست فان توننجن ، محرر جريدته «هت ناشونال داجبلاد» كان من رجال الاقتصاد ، وكان الى سنة ١٩٣٦ قوميسيرا اقتصاديا لعصبة الأمم فى «فينا» وكان الى حد ما دكتاتور النمسا المالى . فلما أعلنت عصبة الأمم استقلال النمسا ماليا وانتهت مهمة الدكتور روست فان توننجن عاد الرجل الى بلاده بأول قطار عن طريق برلين . وعلى الأثر أصبح واحدا من أتباع موسرت ، وقد حمل اليه تحيات ودية من هر فون بابن ، الذى كان قصره فى ميترنيخجاز ، بفينا ، موضع ترهد

« روست » الطموع حين كان مشرفا على مالية النمسا .

والدكتور روست فان تونتجن نموذج صادق للرجل المتعلم الذى تقوده مطامعه غير المحدودة الى الخيانة . وهذا الرجل المثقف الذى بلغ السادسة والاربعين من عمره رجل رشيق القوام صغير الرأس ، له عينان وقادتان تسترعيان النظر على وجه أخص تعلوهما جبهة مرتفعة . وتقاسيم وجهه الحليق حادة . وتبدو على فمه امارات القسوة المطلقة .. والخلق الوحشى الخشن .

وكان الدكتور روست فان تونتجن طوال مدة اشتغالهموظفا كبيرا فى عصبة الأمم يخفى خلقه الحقيق وراء الابتسامة اللطيفة التى يصطنعها الرجل الدبلوماسى . ولكنه أخيرا عندما تولى أمر الدعاوة الهتلرية فى هولندا بصفة أنه نائب اشتراكى وطنى فى البرلمان ، نزع القناع الذى كان يخفى حقيقته ، وأظهر ابتهاجه بأن يظهر بكل وسيلة ممكنة القوة الوحشية التى انطوت عليها عواطفه النازية . فادخل فى مناقشات المجلس المحترم لهجة خشنة عامية لا عهد لأعضاء البرلمان بسماعها من قبل ، ولم يكن يتردد فى توكيد حججه بالحملة على غيره من النواب . وتبع الرجل مثال النازى الالمان فى سنة ١٩٣٣ فسلك مسلكا معيبا اضطر معه الرئيس أن يحرمه فى أول مارس سنة ١٩٣٩ حق الاشتراك فى المناقشات

ولكن الدكتور روست فان تونتجن لم يكتف بان يكون مخلا بالامن والسلام فى الظاهر . فكانت حركاته الرئيسية بصفة انه عضو من أعضاء التابور الخامس تجرى فى الخفاء . فكان واحدا من اخون

وكلاء ادارة المخابرات السرية الالمانية ، فى هولندا ، وأشدهم خطرا وأجلدهم على العمل .

وكانت الازمة الاقتصادية فى هولندا والشغب الذى ترتب عليها سببا فى أن يحصل موسرت على شىء من النجاح فى أول الأمر . كذلك استفاد الرجل من أن فريقا من الاهالى كانوا يرون أن كثرة الاحزاب السياسية فى هولاندا أمر ضار . وفى الانتخابات العامة سنة ١٩٣٥ تقدم موسرت للناخبين وشعاره « هولاندا المتحدة »

وقد استطاع بمساعدة هذه الحركة أن يحصل على ٨ فى المائة من الأصوات . ولكن ظهر فيما بعد أن هذا النجاح الاول كان هو النهاية العظمى . فقد تقدم الآن « رجل هولاندا القوى » الدكتور هندريك كوليجن (رئيس الوزارة الى يونيه سنة ١٩٣٩) الى الانتخاب منافسا موسرت . وقد اهتمت هولاندا كلها اهتماما شديدا بالمعركة السياسية التى تبعت ذلك .

وقد قاتل موسرت قتال المستيئس ، يساعده ، فى السر ولكن فى نشاط وقوة ، جوبلز وهملر واداة الدعاوة النازية الهائلة . ولكن أسلحته كانت مجرد الكلمات والوعود المنكوثة التى كان هتلر يضلل بها الجماهير الالمانية . ومع ذلك قد حارب الدكتور « كوليجن » هذه القيصرية العصرية » بالاعمال ، فلم يكتف فقط بالحملة على قنابل موسرت الديناميتية الفارغة بجميع القوة المعنوية الكامنة فى المنطق الديمقراطى ، ولكن حكومته فعلت الشىء الكثير لمعالجة البطالة ، فهبط عدد العاطلين

الذى كان قد بلغ فى وقت من الاوقات الى ٥٠٠٠٠ شخص ، تدريجيا شهرا بعد شهر حتى أصبح الآن ٢٠٠٠٠ فقط .

فوقف موسرت عاجزا أمام هذه الحجة القوية الثابتة . وعندئذ لجأ الى أحط نوع من الخطط السياسية النازية — الى الهجوم الشخصى على أعضاء الوزارة وغيرهم من الشخصيات العظيمة البارزة وأصبحت جريدته « ناشونال داجبلاد » صدى لجريدة « استيرمر » التى يملكها جوليوس اشترايخر . ووجه السباب الى القسس الكاثوليك على وجه أخص واتهموا « بأنهم أساءوا الى واجباتهم الاخلاقية أكبر الاساءة . »

وقد كان ظاهرا ، مع ذلك ، أن موسرت قد يحطم قضيته بمثل هذه الوسائل . وفى الانتخابات النيابية لسنة ١٩٣٧ تخلى عنه حوالى نصف الذين تبعوا الصليب المعقوف قبل سنتين من ذلك التاريخ . وأتم ضم النمسا وغزو تشيكوسلوفاكيا مابقى بعد ذلك . وفى ابريل سنة ١٩٣٩ لم يستطع موسرت ان يعبىء أكثر من ثلاثة أثمان فى المائة من الاصوات وفى الوقت نفسه هزم حزبه فى انتخابات المجالس الاقليمية .

ومن الخطأ أن يعتقد انسان ان هتلر لايضطرب للهزائم الانتخابية التى تصيب مقلديه الاجانب فى الخارج . فالذى يجرؤ على ان يكون « هتلر الصغير » يجب أن يبعث دائما بأخبار انتصاراته والا أصبح شخصا قليل الشأن . وقد ظهر هذا واضحا فى النمسا وتشيكوسلوفاكيا .

وأصبح موسرت مهددا بمثل هذا الخطر ، كذلك لم تخفف الحرب

شيئا من حرج مركزه . فتجمع الجيوش الالمانية على الحدود الهولندية وخطر الغزو الناتج عن ذلك حمل بعض العناصر المعينة على الانضمام الى صفوف موسرت . وكان هؤلاء يرون قبل أشهر من «اليوم الموعود» ان غزو المانيا البلاد الهولاندية أمر واقع ، وقد أرادوا حتى فى تلك اللحظة الاخيرة ان يحسبوا أنفسهم تابعين «للحرس القديم» لكى يضمنوا لانفسهم مراكز حسنة فى حكومة هولاندية نازية مستقبلة .

ومن الناحية الاخرى أصبحت مقاومة الجماهير الهولاندية للنازية أشد ثباتا وأعنف عداء . وكان الدكتور جوبلز قد زاد دعاوته فى هولاندا زيادة هائلة ، وكذلك شدد «حملة الغزو من الداخل» ولكن ادارة المخابرات السرية الهولاندية لم تلبث أن كشفت قبل الغزو أشد دعاته نشاطا وحركة وتبينت أنهم من أخطر الجواسيس الذين يعملون ضد البلاد .

ولم يظهر موسرت بالطبع ، انه على علم بشىء من هذه الاحداث فقد كان يعرف كيف يخفى حركات خيانته بمهارة أعجزت رجال العسكرية عن أن يثبتوا شيئا ضده . فقد كانت أعماله دائما مختبئة وراء غيره . واذ كان الرجل من قبل مهندسا فى شبكة الاعمال الالمانية «واترشتاد» الواسعة النطاق فقد كان على علم تام بالتفصيلات الفنية المتصلة بمشروع اغراق البلاد الذى كان أساس الدفاع الهولاندى . ولكن كان المستحيل إقامة الدليل على انه هو الذى سلم المشروعات السرية لمنطقة الاغراق الى «فليشر» أحد رجال البنوك فى «هارلم» وزعيم المائة الالف الالمانى المقيمين فى هولاندا

ولم تدرك الحكومة الهولاندية الا متأخرة جداً القيمة الحقيقية لعدد من المحاضرات « الدولية » السرية التى ألقيت فى « البيت الرمادى » فى أوترخت. فقد كان الاجانب يذهبون الى هناك على الدوام للتباحث مع موسرت ، وكان بينهم نازيون من رومانيا ودانيمارك ، وعلى الأخص الماجور كيسلنج من أوسلو . . . ولكن لم يلتفت أحد التفاتا خاصا الى هؤلاء الزائرين .

كذلك لم يعلق أحد أهمية خاصة على زيارات موسرت العديدة لألمانيا . وفى أثناء أشهر الحرب عندما أخذت السياحة إلى داخل الحدود الألمانية تزداد صعوبة يوما بعد يوم كان فى استطاعة موسرت ورجاله أن يجتازوا الحدود كلما أرادوا . وكانوا يذهبون دائما إلى دوسلدرف . وهذه البلدة التى كانت موطن ميلاد هينريخ هين ، الشاعر الالمانى الذى يكرهه النازى أشد الكره ، كانت هى المقر الحقيقى للقيادة العليا لحركة النازى الهولاندية .

أما « البيت الرمادى » فى أوترخت ، وهو المقر الرسمى لأقامة موسرت ، فلم يكن إلا « ستار النافذة » فان المركز الحقيقى للمؤامرة كان دار الاعمال الكبيرة ذات الست الطبقات رقم ٤ فى جارتنستراس بدسلدرف القريبة جداً من محطة سكة الحديد . فهنا كانت تعد مشروعات غزو هولاندا من الداخل ؛ ومن هنا كانت تصدر الأوامر ، ولم يكن هناك أقل من أربعين موظفا وعدد كبير من رجال الحرس الاسود وفرق الهجوم يعملون فى ذلك البناء ليلا ونهاراً . وكان طابق بأكمله

من البناية مخصصاً لنوى الملابس الرسمية الهولانديين . وكانوا مرتبين وفاق أحجامهم وصفوفهم ورتبهم .

وكانت هناك ملابس رسمية من ملابس الضباط والجنود فى الجيش والبوليس الهولندى ، وملابس رسمية لسعاة البريد ، ورسل البنوك والسعاة الصبيان . على أن ملابس جنود الحملة البريطانية والأسطول البريطانى وسلاح الجو الملكى البريطانى كانت توجد هناك أيضا . ويجب أن نذكر أن رقم ٤ بجارتنستراس لم يكن المستودع الوحيد للملابس الرسمية الذى استحوز عليه موسرت فى المانيا .

ففى دار البلدية بأحدى البلدان الصغيرة بوستفاليا على مقربة من الحدود الهلاندية كدس أكثر من الفى كسوة من الكساوى العسكرية ، قبل الغزو بوقت قصير .

وكان موسرت كلما ذهب الى دوسلدرف تصادف عادة وجود عدد كبير آخر من السائحين الهولانديين فيها فى الوقت نفسه . بينهم القواد الاقليميون ، والوكلاء السريون ، والمخبرون والجواسيس جاءوا على الأخص من المقاطعات الهولاندية الجنوبية ليتلقوا التعليمات ويستمعوا الى محاضرات فى كل فرع من النظام الفنى للتابور الخامس ، وبخاصة مسألة التعاون مع جنود المظلات ، الذين سيهبطون من السماء فى الوقت المعين على جميع المناطق الهولاندية مفاجئين. وكان الضباط الألمانيون الذين عهد اليهم هذا الفرع الخاص من فروع الغزو ، يعلمون الخونة البارزين كل مايختص بالاشارة والتجسس والتهريب ، وأخبث وسائل التخريب .

والرجال الذين دربوا هنا هم الذين استمروا عدة اشهر يرشدون الطائرات الالمانية الى الطريق بواسطة الانوار من غابات . أولدنزال ، وهؤلاء هم الذين نقضوا تدريجيا حياد هولاندا قبل الغزو ليمهدوا الطريق لضربتهم القاتلة . وقد بذلت الحكومة الهولاندية كل جهد مستطاع لكشف هؤلاء الجواسيس ولكن ضاع جهدها عبثا

ولو انهم فتشوا «البيت الرمادى» لما كان من المحتمل أن يجدوا أى أثر يدل على حركات « دوسلدرف » . فوسرت ، كما أشير الى ذلك من قبل ، كان أمكر من أن يثير حول نفسه فى هولاندا من الشكوك ما يمكن أن يصمه ، على أية صورة من الصور ، بوصمة الخيانة وفاق تعريفها اللفظى فى القانون ، فقد انهمك فى الحركات السياسية علنا . ولكن حتى هذا كان خيانة عارية الوجه من أسفل الانواع .

فان موسرت وحركته الاشتراكية الوطنية قد أثارا جميع الاعصاب ليحملوا العالم على أن يصدق الكذبة القائلة بأن الحكومة الهولاندية لاتقيم ميزان العدل فى عملها . وانها تلتزم حيادا ذا جانب واحد ، وانها فى الحقيقة تحاول بكل جهدها أن تخدم قضية الحلفاء . وكانت دعاوة موسرت كلها منذ ابتداء الحرب ، على الرغم من المهارة التى تسترت بها ، ترمى الى غرس بذور النفور والى الاخلال بنظام الانتاج والى تقويض ثقة الشعب فى الحكومة ، وفى النظم الديموقراطية وفى الجيش وفى كل شىء كان مقدسا عند الهولنديين منذ سنوات عديدة .

وهذا هو السؤال الذى بقى معلقا : لماذا لم تقبض الحكومة على

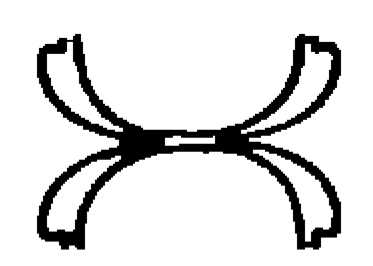
موسرت فى الوقت المناسب ، حتى ولو انه كان قادرا على تغطية أعماله بمثل تلك المهارة ؟ فان أحاديثه ودعاوة جماعته الاشتراكية الوطنية كانت على التحقيق كافية لان تضع بين أيدى الحكومة الادلة التى تبرر ماتتخذ ضده من اجراء ومنذ اللحظة التى اعلنت فيها الاحكام العرفية فى أقسام معينة من هولاندا أصبح أى تساهل أو رحمة فى معاملة الخونة مسألة لامبرر لها على الاطلاق ولكن حدث هنا مثل الذى حدث فى ممالك أخرى كثيرة اذ ترددت السلطات فى محاربة ذابحى الديموقراطية — وكان ترددها مبنيا على اعتبارات ديموقراطية ! وفوق ذلك لم تحرم الحكومة قيام الحزب النازى لانها كانت تعتقد انها اذا فعلت ذلك كانت النتيجة قيام هيئات سرية أقوى منه بكثير وغير مشروعة . وهكذا أغفل الواقع كله اغفالا تاما . فانه حتى فى الجهات التى يقوم فيها النازى باشد الحركات الحزبية الرسمية ، كانت أعمالهم الحقيقية تعمل دائما فى الظلام وبصفة غير مشروعة وسرية .

وأخيراً استخدمت فى هولاندا ، الحجة نفسها التى سمعت كثيراً فى النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولاندا ونروج ودانيمارك : « لا تخلقوا شهداء لأى سبب ما » ولكن هذه الفكرة كانت خاطئة الخطأ كله . فأنه حتى إذا كان القبض على موسرت فيه شيء من المجازفة بخلق شهداء منه ومن اتباعه فى نظر حزبه ، فان هذه الخطوة كان يجب أن تقدم عليها الحكومة .

وإذ لم تستطع السلطات ، مع ذلك ، أن تروض نفسها على اتخاذ

هذا الاجراء ، فقد مكنت لهذا اللعب الشنيع من السير فى طريقه غير مكبوح الجماح إلى اللحظة الأخيرة . وعندما نبذت الحكومة أخيراً سياسة الصبر وقالت إنها أصدرت الأوامر لتقييد حركات العدو فى داخل البلاد ، وجد موسرت من وقاحته وصفاقته ما يسمح له بأن ينشر هذا السؤال على صفحات جريدته :

« من تقصد الحكومة بقولها ـ العدو فى داخل البلاد ؟ ـ أتقصد اللاجئين ؟ أم الكاثوليك ؟ أم هى تقصد رئيس الوزارة السابق الدكتور كولجن ؟ أم هل من الممكن أن تقصد النازى الذين قدموا لهولاندا مثل هذه الخدمات العظيمة ؟ »



— ٨ —

ليون ديجريل

اغتيـــال بلجيـــــــــــكا

فى مساء اليوم العاشر من شهر مايو سنة ١٩٤٠ ، وهو اليوم الذى تلا هجوم هتلر المفاجىء على بلجيكا ، خرج رجلان من بيت فى وسط بروكسل واتجها نحو سيارة كبيرة قوية كانت واقفة على جانب الطريق .

وكان أحدهما شابا جميلا له وجه صبيانى وعينان سوداوان وتقاسيم قوية ، وكان الثانى رجلا فى الخمسين من عمره أشيب الشعر عابس المحيا .

وإذ كانا على وشك الدخول إلى السيارة وقفهما ثلاثة من ضباط البوليس .

وقال رجل البوليس فى لهجة مفاجئة :

« مسيو ليون ديجريل ؟ إنى آسف ولكن يجب أن أقبض عليك »

ودنت عربة البوليس من الباب ، فبدأ ديجريل يحتج ، ولكنه دفع إلى داخل السيارة التى انطلقت به

وهكذا شهد ستاف ديكلرك ، زعيم الحزب الوطنى الفلمنكى، القبض على صديقه ليون ديجريل زعيم حزب ركس . فدعا ، وهو مستغرق فى التفكير، سيارة أجرة وأعطى السائق عنوان بيته.

ولم يكن الرجل يعرف أن ثلاثة آخرين من ضباط البوليس كانوا

منتظرين فى غرفة جلوسه ليقبضوا عليه كما قبضوا على جميع الزعماء الآخرين فى الحزبين المناصرين للنازى .

كان ليون ديجريل زعيم حزب ركس فى الثالثة والثلاثين من عمره وكانت عقيدته السياسية هى :

« أنا لا أعجب بهتلر فقط ولكنى أحبه »

وينتمى ليون مارى ديجريل الى أسرة بلجيكية كاثوليكية ذائعة الصيت ، ولكنه ولد فى فرنسا . وكان أحد أجداده عمدة لريمس. وكان المصير المقرر لديجريل الصغير من أول الامر أن ينشأ راهبا ، ولكن مزاجه وموهبته الخطابيــة قادتاه الى مهنة اكثر اتصالا بالعالم الدنيوى فاصبح محاميا . وقد تزوج من سيدة فرنسوية جميلة غنية جاءته بأربعة أطفال ، وكان يقضى أغلب أوقاته فى الخارج ويعمل فى جد متواصل ليربح المال والمكانة المحترمة ، ومع ذلك فقد فشل مجهوده ، ولم يضع ماله الخاص فقط بل أضاع مال امرأته أيضا . ويمكن أن تكون هذه الخسائر هى،الىمدى بعيد، السبب فى مسلكه الاخير.فقد لجأ هذا المفلس الى السياسة وكانت حاجته المستمرة الى المال وحبه للقوة هما اللذان دفعاه الى جيش هتلر . وكان أول الأمر عضوا نشطا فى الحزب الكاثوليكى البلجيكى ، ولكن مشروعاته الطموعة أثارت حوله الشكوك والريب . وعلى ذلك أسس « حزب ركس » وهو تشكيل كاثوليكى كانت له فى أول نشأته أغراض تصورية . وكان شعاره : « المسيح هو ركس » وهذا هو الذى أطلق على الحركة اسم « ركس » وكان غرضه تطهير

الحياة العامة . ولكن لم يلبث هذا التشكيل أن انساق مع تيارات السياسة والفاشستية .

شكل « ديجريل » حزبه سنة ١٩٣٥ ، وكان برنامجه « معارضة الشيوعية » و « معارضة الرأسمالية » وكان شعار الحزب مكنسة من الكرتون اشارة إلى كسح جميع الشيوعيين وجميع المصرفيين الى خارج بلجيكا

وقفز المحامى البلجيكى الصغير فى سواد ليلة الى عالم السمعة الواسعة عند ما نجح حزبه نجاحا يسترعى النظر فى الانتخابات العامة سنة ١٩٣٦ ، فقد دخل الى دار البرلمان واحد وعشرون عضوا من الركسيين وحيوا زعيمهم بالتحية الفاشستية .

استرعى هذا الصعود الخاطف أنظار العالم كله . ولكن كان هناك رجل واحد هو الذى ابتهج بهذه النتيجة ابتهاجا خاصا ، ذلك الرجل هو ادولف هتلر . واتصل بديجريل ان الفوهرر يريد أن يتحدث معه

وكان ديجريل مثله فى ذلك مثل هينلين ، ينكر دائما أن هتلر هو الذى أنفق على حركته الانتخابية . ومع ذلك لم تكد الانتخابات تنتهى حتى سافر الى برلين مصحوبا بأربعة من أعضاء البرلمان الجدد . ذهب الى برلين رجلا فقيرا لأن الانتخابات قد استنزفت جميع مصادر الحزب المالية وقد صرح بذلك لاحد الصحفيين البلجيكيين قبل مغادرته بروكسل ، فقال : « نحن اليوم فقراء ، ولكننا لسنا خائرى العزيمة مكسورى القلوب فاننا منتصرون . وعما قريب تصبح بلجيكا كلها لنا »

وفى برلين اجتمع «ديجريل» بهتلر وجوبلز . وقد حاول فيما بعد أن

ينكر ذلك، ولكن مراسل جريدة مورننج بوست اللندنية روى هذا الخبر فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٣٦ ثم عاد من برلين وفى جيبه من المال ما كفى لابتياع جريدة بمبلغ ١١٠٠٠٠ جنيه

وبعد قليل اتخذ حزبه صفة عسكرية . فلما اضطر البوليس مرة للقبض عليه بتهم عديدة مختلفة صادر سيارته المصفحة وقبض معه على سبعة عشر من حرسه الشخصى مسلحين بمدافع برن .

وعنف الاحاديث الدماموجية إحدى الخواص العديدة التى يشترك فيها ليون ديجريل مع هتلر. وهو كمعبوده النازى يجذب طرازاً معينا من الفتيان والفتيات الذين تدفقوا على صفوف حزبه

وكانت اجتماعات حزبه تعقد فى أغلب الاحيان فى قصور الالعاب الرياضية وكان أنصاره يدفعون أجر حضور اجتماعاته للاستماع اليه وكان من عادته أن يسلخ بعباراته الشديدة رجال المال الذين يسميهم الاعداء. كما يسلخ الشيوعيين « الخونة » وكانت عيناه السوداوان تلمعان بشرر الغيظ وحب الانتقام عند ما يتكلم «عن حربه المقبلة لتحرير بلاده من القذارة »

وحدث فى اجتماع من هذه الاجتماعات عقده بمدينة « لوفان » التى تلقى علومه فى جامعتها ، أن تقدمت فتاة صغيرة جميلة ، هى مس ايتل كارنوى ابنة أحد الوزراء السابقين ، من المنبر فى ثبات، ولطمت ديجريل مرتين على وجهه . وكان قد كتب فى جريدته مشهرا بوالدتها .

فذهل ديجريل، ولكن بعد أن أبعد حراسه الفتاة استمر فى حملة

سبابه على « عصابة الماليين الفاسدة »

ولأول مرة امتعض ديجريل مما نشرته الصحف الواسعة الانتشار عن ذلك الحادث. فهو على العكس من ذلك كان يسمع تأييدا من الصحف فى كل مكان مهما بعد . وكان الرجل ماجنا عمليا لبقا ، وحدث مرة فى أثناء المعركة الانتخابية أن طبع كلمة «ركس» على البقر وبذلك حصل على الشهرة العامة التى سعى اليها .

وهذه الرغبة فى الشهرة العامة قد قذفت به فيما بعد الى الخارج فى مرحلة شديدة الحرج فى حياته السياسية

ففى ابريل سنة ١٩٣٧ أغرى نائب حزبه فى البرلمان عن بروكسل بأن يستقيل وتقدم هو للحلول محله ، ثم تحدى الحكومة أن تسمى رئيس الوزارة منافسا له . فقبل فان زيلاند ، رئيس الوزارة التحدى ، وبدأت معركة انتخاب فرعى فى بلاد لا تعرف الانتخابات الفرعية على وجه العموم ، إذ العادة أن الكراسى الخالية تملأ آليا بواسطة الاحزاب المختصة .

وعلى الرغم من أن ديجريل بذل كل ما وسعته قوته لكسب الاصوات — حتى انه اخترع « محاولة اعتداء شيوعى » على حياته ، ودبر عملية اطلاق الرصاص عليه ، من أيدى المعارضين المتعصبين — أسفر الانتخاب الفرعى عن أقسى ضربة أصابت حياته السياسية . فقد حصل فان زيلاند على ٢٧٥٠٠٠ صوت ولم يحصل ديجريل على غير ٦٩٠٠٠ صوت . وعاد رئيس الوزراء الى مجلس النواب ووقف ديجريل فى

الطريق خارج الابواب . ولم يفق الحزب قط من هذه الصدمه .

ولما حالت القيـود المضروبة على الراديو دون تـكلم ديجريل من محطة الاذاعة اللاسلكية، سمح له موسوليني بأن يتكلم من محطة تورين، فاحتجت الحكومة البلجيكية على ذلك بمذكرة شديدة اللهجة .

وكان ديجريل هو أول سياسي بلجيـكي حمل الجمهور العديد على أن يدفع أجرا لحضور اجتماعاته ليحظى بنعمة الاصغاء اليه ، فاذا بلغ التحمس غايته القصوى، حمل الحاضرين على التبرع للصناديق التي أعدها الحزب لجمع الاموال .

وتدفق المال عليه من برلين . فجريدتاه « باي ريل » اللتان تطبعان باللغة الفلمنكية والفرنسية ، والانفاق على بناية الحـزب وحملة الدعاوة الواسعة النطاق كل ذلك كان يستغرق على التحقيق نفقات تبلغ ٣٠٠٠٠٠ فرنك فى الشهر .

والى أن بدأت الحرب كان كثيرون من البلجيكيين لا يفهمون لماذا يؤيد هتلر مثل هذه الدعاوة الخارجية التي تتطلب كل هذه الاكلاف . ولـكن الدور الذى لعبه التابور الخامس فى نروج ودانيمارك فتح أعين حتى هؤلاء الذين كانوا ميالين للعطف على الركسيين .

وبعد ساعات قليلة من هجوم هتلر على بلجيـكا قبض على ديجريل وصديقه الفلمنـكي ديكليرك وتولينار وجراقر وهما « وطنيان فلمنكيان آخران » ووضعوا فى محبس أمين ، وقال الجنرال دنيس وزير الدفاع البلجيكي عندما احتج اصدقاء ديجريل على القبض عليه : « اننا لا نستطيع

ان نعرض البلاد للخطر على أيدى الخونه »

ولكن الخطوات التى اتخذتها تلك المملكة التعسة فى الساعة الحادية عشرة جاءت متأخرة جداً . فقد عمل التابور الخامس عمله فى بلجيكا ، واستطاع الجواسيس والخونة ، وكلهم وكلاء هتلر ، ان يضعفوا قدرة البلاد على المقاومة ، وكان الوطنيون البلجيكيون وعلى رأسهم المحامى الذائع الصيت روبرت جوفن قد وجهوا تكرارا، ولكن عبثا، الانظار الى ما يعمله التابور الخامس فى تقويض أركان بلجيكا ، وحذروا كلا من الحكومة والشعب .

وقبل غزو بلجيكا مباشرة نشرت جريدة « الرت » مستنداً هو استدعاء اصدرته السفارة الالمانية للتشكيلات الشبيهة بالعسكرية . وفى بضع ساعات كانت الصورة الاصلية لهـــذا الاستدعاء قد صورت فوتوغرافيا ونشرت على الصفحة الاولى من صفحات الجريدة .

وقد قرر هذا المستند على وجه اخص انه على جميع الالمانيين ان يجتمعوا فى مواعيد معينة ليتلقوا تعليمات سياسية هامة جدا .

واحتوى المستند على أسماء قواد النازى الاقليميين مع تفصيلات دقيقة عن أماكن الاجتماع والساعات المحددة لحضوره .

واجتمع الجنود المرتدون الملابس الملكية فى المدرسة الالمانية فى قصر رويد، ببروكسل ، حيث زودهم مندوبون خاصون بتعليمات سرية. وكان ابرز هؤلاء المندوبين « هاس » نائب رئيس الصحافة الاجنبية فى بروكسل ، وبو هلز « وهو نازى شاب » وكانا كلاهما مقيمين فى بروكسل

تحت زعم الاشتغال بأعمال تتصل باعانة الالمانية التى تسمى «اعانة الشتاء»

وعرفت السفارة الالمانية ان مشروعاتهم قد كشفت وان تنظيماتهم أصبحت معرضة لخطر التدمير من أساسها وان المسألة مسألة ساعات لا أكثر .

فهل كان هذا هو السبب فى أن هتلر المكتئب قد أسرع فى هجومه ؟ لايبدو ان ذلك بعيد الاحتمال عند ما نكون فكرة جلية عن الدور الخطير الذى يلعبه التابور الخامس فى خطة هتلر الهجومية .

لقد كان معروفا ان فريدريك سيبورج المشهور بسوء سمعته مؤلف كتاب « هل الله فرنسوى ؟ » كان هو و« ليبه » المتولين تنظيم الحركة، وكانت توزع فى كل يوم النبذ المختلفة والبرامج ومجلات السياحة والمراسلات المقصود بها الى بث روح الثقة فى النفوس. وكانوا يستعملون بعض المقطعات البلجيكية فى تكملة الالحان النازية التى تنشر فى مثل جريدة ليون ديجريل « بابى ريسل » ونشرتى « كاساندر » و « الغرب »

ونظم الالمانيون المقيمون فى بلجيكا اجتماعا فى قاعة كبيرة فى وسط بروكسل تسمى « لابراسيرى فلاماند »

وقبل بضعة أيام من الغزو عرف ان جميع الذى حضروا ذلك الاجتماع كانوا أشخاصا فى سن العسكرية وان تعليمات رسمية صدرت لهم من « القواد الاقليميين » المعتمدين .

وقد نظر النائب البلجيكى ، لويس بييرارد ، نظرة ثاقبة فى الظروف السياسية عند ماتكلم فى الاجتماع التاريخى الذى عقده البرلمان فى ١٠

مايو سنة ١٩٤٠ وأظهر فيه من من أعضاء مجلس النواب البلجيكى واقع تحت النفوذ الالمانى أو تابع للتابور الخامس ، وقال :

« لقد قيل ان واحدا منهم أعلن انه قد قرب الوقت الذى سيلعب فيه كل المانى فى الخارج الدور المنوط به فيما يتصل بتحقيق أغراض الفوهرر.

«وفى أثناء الاجتماع التاريخى الذى عقد فى مجلس النواب البلجيكى فى ١٠ مايو لاحظت على سلوك كثيرين من النواب المنتمين إلى جماعة الوطنيين الفلمنك ، فقد صفقوا جميعا للتصريحات الحازمة التى أدلى بها الرئيس والوزراء . صفقوا جميعهم ما عدا « وارد هرمانز » السجين اليوم، فقد سلك مسلك التحفظ . وكان ظاهراً أنه لم يكن يعرف ماذا يفعل .

«ووارد هرمانز هذا متعصب أصفر، عندما أراد أن يظهر نفسه ذهب مرة إلى براتسلافا وزار متفاخرا رئيس سلوفاكيا . وقد ذهب إلى هناك بدعوى توكيد الاخوة بين الفلمنكيين والسلوفاك ، المتشابهين فيما ينزل بهم من اضطهاد — فى رأيه — فالاولون يضطهدهم « الوالونز » والآخرون يضطهدهم التشك . فياله من رسول عظيم !

« وإنا لنحمد الله أنه منذ اللحظة الاولى من ابتداء الحرب نشطت الحكومة البلجيكية نشاطا محمودا تهنأ عليه ، فقبضت على جماعات من المشاغبين المشتبه فيهم لاسباب عديدة . وكان أولهم أستاف ديكلرك زعيم حزب الوطنيين الفلمنكين ، وكان من قبل مدرسا فى إحدى المدارس الريفية ثم انقلب نائبا فى البرلمان وهو فلاح ضخم الجثة ذكى مرح ملتح قوى البنية أشبه ما يكون بقسيس يونانى يتكلم الفلمنكية ، وكان يلبح

على الناس فى أن يحيوه التحية النازية فى بعض المظاهرات الهزلية التى تستحق جداً المشاهدة، والتى كانت تنظم فى « بايوتنلاند » وهى منطقة فى غرب بروكسل . وكان يمكن أن يكون ذلك كله أمرا بريئا لولا زيارات هذا السيد العديدة لمملكة هتلر . وقد قبض معه على نائب آخر من المتكلمين الفلمنكية هو « سيير تولينابر »

« لقد استبقت الى الآخر شخصين هما أشد إثارة للريب والشكوك حولهما وأشد استرعاء للنظر من جميع الذين التى بهم الى السجون . أولهما ليوديجريل الشهير الزعيم المقهور لحزب ركس البلجيكى الذى ذاع صيته ثم انتهى أمره الآن الى أن أضاع كل ثقة فيه .

« فالحماسة التى خلقتها حركات هذا الشاب، ابن فرنسا العاق والمغامر الحقير المجرد الذى لا يحجم عن شىء، هذه الحماسة قد تقود الانسان الى أن يشك فيما يفاخر به الشعب البلجيكى من حسن الادراك . وقد ذهب ديجريل الى برلين أكثر من مرة . وكان بعض ضباطه الذين تخلوا عنه وقت الحاجـــة — كما تهرب الفيران من السفينة الغارقة — يحضرون دائما مؤتمرات نورمبرج . ويجب ألا ننسى أن بعض هؤلاء الزعماء الركسيين واتباعهم الاسافل قد حاولوا أن يضللوا باريس، مقيمين الدليل على عطفهم على فرنسا فى بعض الصحف التى قبلت مقالاتهم فى شىء من السذاجة . لقد كان كل مايعمله هؤلاء السادة أن يجروا مع الارانب ويصيدوا مع الكلاب .

« واليكم أخيراً حالة « بول كولين » فهـــذا الرجل محرر جريدة

كاساندر ، الاسبوعية الحقيرة ، انما هو شخصية بالزاكية ، وليس ثمت من ينكر عليه مواهبه الادبية . فهو نقاد فنى قد كتب لجرائد باريس أكثر من مرة ، وقد اشترك بعد الحرب العظمى فى تحرير مجلة العالم » التى يصدرها « باربوس » وساعده فى تأسيس مجلة « أوربا » حيث فضح أمره ، مع ذلك ، وظهر انه شخص غير هياب فى ارتكاب الجرائم

« فهو تحت زعم الدفاع عن حياد بلجيكا قد روج فى جريدة كاساندر لدعاوة من أشد الدعاوات خداعا وخيانة . وقد قبضت عليه الحكومة البلجيكية فى اليوم الاول من أيام الحرب »

وحتى فى دوقية لوكسمبرج الصغيرة عمل التابور الخامس عمله

وقد أبرزت فرقة كبيرة من فرق الالعاب المتنقلة صورة من صور نشاط التابور الخامس فى لوكسمبرج ، وقد وصلت الى موندورف ، وهى بلدة من بلدان الحدود ، قبل بضعة أيام من الهجوم . فكان اللاعبون جميعا جنودا المانيين مستخفين ، وكانت حقائبهم مجموعات من الاسلحة

وكانت خيوط نظام التابور الخامس تجمع بعضها إلى بعض فى السفارة الالمانية ببروكسل بايدى السفير « فون بولاو — شوانت » ومستشاره السياسى الأول ، ومستشار المفوضية فون بارجن ، وفريدريك سيبورج الذى قضى عدة سنوات من قبل مراسلا لجريدة فرانكفورتر تسيتنج فى باريس . وفريدريك سيبورج هذا ، الذى كان ينظر اليه فى المانيا على أنه كاتب مبدع على وجه خاص ، قد باع نفسه لهتلر قبل أن يتولى هتلر الحكم بوقت طويل ، وقد أدى له أخيراً كثيراً من أعمال الجاسوسية

فى عواصم اوربية مختلفة . وكان واحداً من كبار المستشارين السريين لهتلر وريبنتروب فى الشؤون المتصلة بهذه الممالك وعلى الأخص فيما يتصل بالاتجاه الفكرى فى «العشرة العليا»

وكان عمله فى الدوائر الاجتماعية وكانت أسلحته الرئيسية هى المحادثات الادبية والفلسفية ، وقد فتحت جميع «الصالونات» الادبية والسياسية ذات النفوذ فى باريس وبروكسل ، أبوابها لهذا الرجل الخطر

وكان الرجل متضلعا فى التاريخ الفرنسوى والآداب الفرنسوية وقد نجح فى جذب المسالمين من نقاد باريس فى كتابه: الله هل هو فرنسوى؟ - وهو كتاب يعد من بعض الوجوه جوابا لكتاب اندريه سيجفريد .

وكان يزعم دائما أنه يحب فرنسا اللطيفة وأنه يعشق الروح الفرنسوية. ولما سئل عن السبب الذى حمل هتلر على أن يطلب فى كتابه «كفاحى» محو فرنسا بصفة أنها العدو التاريخى الاكبر لالمانيا ؟ أجاب بأن هذا كان نوعا من الحب غير المكافأ : الحب الناشىء من العداوة أو العداوة الناشئة من الحب . وقال: لقد كان معروفا جيداً فى ألمانيا أن كلمة أوربا لاتكون الا اسما فارغا إذا لم تتحد العقلية الفرنسوية بالعبقرية الالمانية . وكان مغرما بأن يقتبس من «موريس باريه» عبارة كتبها هذا الكاتب الفرنسوى المحافظ لأنه ظن أن من واجبه أن يحذر أوربا من البلشفية الروسية وهى قوله :

« هناك أربع قوات فقط هى التى تستطيع أن تنقذ أوربا من الدمار البلشفى : الاولى — المجمع العلمى الفرنسوى — لأنه حامى المنطق

اللاتيني . والثانية — الفاتيكان — لانه يحمي أقدم الحكم الدبلوماسية الثالثة — مجلس اللوردات — لانه المجموع الكلي لجميع التقاليد . وأخيرا هيئة أركان الحرب العامة الالمانية — لانها فن العمل الدقيق — وعندما ذكر سيبورج هذه القوة الرابعة وقف فى إلقاء كلماته وقفة مؤثرة .

واعتاد سيبورج بعد ذلك أن يضيف العبارة الآتية مبتسما : « هنا سيداتي وسادتي . هو ما كتبه رجل فرنسوى ، ومتى قيل كل شيء وانفذ فان هتلر لا يطلب شيئا آخر .. »

وكان يرى أن ألمانيا قد دخلت الآن صف الأمم التى تصنع التاريخ فالايام التى تقدمت « جمهورية فيمار » قد أصبحت فى حكم الماضى ، أما الفرنسويون فأنهم على العكس من ذلك قد كسبوا الحق فى أن يستندوا الى اكاليل غارهم ولا يعلموا شيئا إلا أن يظهروا العالم على تألق ذكائهم وكان هذا المحتال يقابل فى « صالونات » معينة فى باريس بالتصفيق الشديد وكانوا يسمونه هناك « الالمانى السريع الخاطر »

وفى الوقت الذى كان فيه يزداد خيال هتلر نموا على الأفق ، أدخل هذا الصحفى الأديب المفتن أسلوبا جديدا فى جريدة « فرانكفورتر تسيتنج » أدى الى تأسيس مدرسة للكتابه . فكانت كل عبارة مشحونة بالمعانى ، ولم يكن يعبر عن شيء فى وضوح وصراحة فكل شيء كان منها ملتبسا . وبعد قراءة مقالة من مقالات « فريدريك سيبورج » تبقى معانيها غامضة ويكون من الضرورى اعادة قراءتها كلها مرة أخرى . وكان من عادته أن ينظر الى كل شيء من نقطة ترتفع ارتفاعا كبيرا فوق رأس الانسان .

العادى ، وهذا ما يجعل نقدها مستحيلا . فما هو مثلا معنى « ديموقراطية أوربا » اذا تكلمنا عنها على أساس أنها فرع من أنواع الحياة فى القرون الماضية والمستقبلة ؟ لقد كان الرجل فى مناقشاته مشايعا بطبيعته لاسبنجلر وجميع من سواه من أمثاله الفلاسفة الألمانيين الذين ينظرون الى الحياة من الناحية المظلمة . ولكن ذلك لم يكن منه إلا اصطناعا . فانه لم يكن فى الحقيقة مؤمنا بهم . فسيبورج واحد من هؤلاء الاشخاص غير العاديين الذين أنبتتهم المانيا بعد سنة ١٩١٨ ، انسان مجرد تجردا تاما من المحاسن الاخلاقية فوضوى ساخر لا هم له إلا الانضمام فى أقرب وقت الى القوة الحاكمة .

بعد أن تقرر أن « المجتمع الفرنسوى الالمانى » والهر سيبورج تابعان للتابور الخامس ، بدأ الرجل يشعر بأن حر باريس شديد الوطأة عليه فغادرها الى بروكسل . وغريب أن نقول أن أحدا لم يمنعه من أن يمثل الفصل نفسه هناك . فقد كان عظيم الصداقة لديكليرك وبول كولين ، قرنه فى الذكاء ، وتولينار وليون مارى ديجريل بطبيعة الحال . فما كان أكبر هذه الجوقة الموسيقية من الخونة على بلجيكا الصغيرة المسكينة ! لقد نفخ هر سيبورج فى الأرغن الالمانى ، فصرح بأن المانيا ليست على التقريب من الخطر بالصورة التى صوروها بها ، انها كانت على التحقيق أرض متناقضات ولكنها كانت أيضا أرض موزار وباخ وفاجنر وشوبانهور ونيتشه . ولعب مسيو كولين على الكمنجا ، فغنى أغنيات النواح على ما تعرضت له الفاشستية والهتلرية من سوء الفهم ، فقد كان

المقدر لهذين النظامين أن يجلبا «سعادة جديدة» لجميع أمم أوربا. وأمسك مسيو تولينار بالمزمار الفاشستى الكاثوليكى الذى تحدث بسعادة السلوفاك وبمهارة الراهب « تسكو » الذى وضع نفسه تحت حماية هتلر . أما مسيو ديجريل فقد دق الطبلة الكبيرة .

ومن وراء هذه العصابة من المحامين المفلسين والمقامرين والغشاشين والمحتالين دخلت دبابات هتلر الى البلاد ، ومن السماء هبط جنود الواقيات هدية المانيا الى البلاد الصريعة التى ذهبت فريسة للتغرير والخيانة والتضليل

زاندر
وغيره من الجواسيس فى سويسرا

إن مايسمى «الخرائط الثقافية» التى تبين تلك البلدان التى لم «يحررها» هتلر بعد — تلك البلدان التى تعتبر فى تقدير سياسة القوة الالمانية تابعة لنظام التحرير الالمانى - هذه الخرائط تحتوى، فيما تحتوى عليه من أرجاء أوربا الاخرى، على الجزء الذى يتكلم الالمانية من البلاد السويسرية، ومعنى ذلك ثلثا دولة صغيرة، فخورة باستقلالها وبنظمها الديمقراطية القديمة، قد وضعها هتلر فى عداد المناطق التى سيغزوها. وفى كتب المدارس الالمانية يعلم الاطفال أن يعتقدوا بأن سويسرا قد انتزعت على مر القرون من أمها الالمانية.

وقد حاول الدكتور جوبلز، بما أنفق من أموال طائلة وبما نشر من دعاوة عريضة، أن يعلم السويسريين أنهم، كالنمساويين والتشك والبولانديين، يجب أن يعدوا أنفسهم أعضاء فى «الاسرة» الالمانية. ولكن على الرغم من هذه الاداة المحكمة التى أعدت «للدخول السلمى» الى تلك البلاد، لم يعلق الطعم الالمانى بسمكة سويسرية واحدة.

والانتخابات السنوية، سواء الاتحادية والاقليمية والابرشية، ميزان صادق لا يتطرق اليه الخطأ فيما يتصل بالشعور السياسى فى سويسرا،

وبعد أن تولى هتلر الحكم فى ألمانيا اتحدت كل الجماعات المختلفة، المتنكرة فى أثواب منوعة من الوطنية السويسرية، ولكنها ذات أغراض سياسية منشؤها الريخ،، تحت راية الصليب المعقوف وكسبت عدة كراسى فى مجالس الابرشيات وكرسيا واحداً فى البرلمان.

أما اليوم فانهم لايحتفظون حتى بهذه الكراسى. ففى الانتخابات البرلمانية فى شهر اكتوبر سنة ١٩٣٩، أى بعد شهرين من ابتداء الحرب، لم يجرؤ أى حزب من الاحزاب النازية حتى على ان يتقدم بمرشح واحد وتتألف الحركة النازية اليوم فى سويسرا من عدد من الرجال يزيدون قليلا على هؤلاء الذين لعبوا مرة دور «هتلر الصغير» السويسرى وحلموا بانفسهم وقد أصبحوا الزعماء المستقبلين «لسويسرا الاشتراكية الوطنية».

وقد ابتعدت الجماعات النازية المتعددة رسميا بمصيرها الذاتى عن هذا السقوط. فحيثما لم يكن وجودها محرما بأمر السلطات، تحل هى نفسها بارادتها. وليس معنى هذا بالطبع انه لم يعد لهذه الجماعات وجود. فهى، فى السر وتحت أسماء جديدة بريئة، تواصل أعمالها ونشاطها لمصلحة الريخ الثالث. والمنشورات النازية التى تغمر البلاد السويسرية من وقت الى وقت انما هى الدليل ماتعمله تلك الجماعات فى الخفاء. وهذه المنشورات مغفلة المصدر دائما، فهى أحيانا تأتى من جمعية مجهولة تعمل «للتجديد السويسرى»، وأحيانا من جمعية لاوجود لها تسمى «الجمعية السويسرية لا يمقراطية ذات السلطات»، أومن أشباه هذه الاسماء الطنانة لتشكيلات ملليجرومنشوها بلا استثناء على ذكر أسمائهم لاسباب قوية جدا. وحدث فى

سويسرا مثل الذى حدث من قبل فى هولاندا وبلجيكا ودانيمارك ونروج فيما يتصل بهذه المنشورات المشحونة بعبارات القذف والتشهير ، فالظاهرة المشتركة بينها جميعا هى الاتهام الكاذب كله بان سويسرا ليست محايدة وان صحافتها وسياسيها يعملون لخدمة الحلفاء . وتتبع المنشورات دائما حملة شديدة من الهمس . والتهم الموجهة فى هذه المنشورات أو التى يهمس بها فى المحلات العمومية انما هي بالفعل صورة طبق الاصل من الاكاذيب التى تنشرها الصحف الالمانية فيما يتصل بسويسرا . وقد رمت هذه الجملة علنا رئيس الحكومة السويسرية مسيو بيليت جولاز وقائد الجيش العام الجنرال جويزان بالخيانة وقالت انه تجب اقالتهما اذا كان لابد من انقاذ سويسرا . وصور السفير الفرنسوى بانه هو القابض على زمام السياسة السويسرية لمصلحة الحلفاء وانه يصدر التعليمات والاوامر اليومية للسلطات السويسرية .

يعمل الكيسلنجيون ومستخدموهم الالمان بجد فى الاوساط السويسرية ليقسموا الشعب على نفسه وليحملوه على عدم الثقة بضباط الجيش . ووجه التعب ان البعض يصدقون هذا الهمس ويساعدون فى نشره فى جميع ارجاء البلاد

والحكومة السويسرية وان كانت لاتعد التابور الخامس خطرا شديدا جدا إلا أنها مع ذلك قد اتخذت جمع الاحتياطات

وقد ألقى الجنرال جويزان فى مدينة برن حديثا يستحق التنويه خاطب فيه الشعب السويسرى بقوله : « انى أحذركم من المعلومات الكاذبة

والاضطرابات . ونحن لن نصبر بعد الآن على التابور الخامس الذى ينشر الاكاذيب ويقوض قوة مقاومتنا . فليس فى بلادنا مكان لدعاة التردد والهزيمة ولاَن للمخربين والخونة مهما يكن منشؤهم . فان الشعب نفسه سيرد عليهم الرد المقنع ، فنى بلادنا توجد بندقيـة فى كل بيت . وكيان بلادنا كله معلق الآن فى ميزان القدر وكذلك حريتنا . إننا نريد أن نـكون السادة فى بيتنا الخاص ولن نقبل أية دسائس أجنبية »

« توجد فى كل بيت بندقية » هذا هو ماصرح به القائد العام للجيش السويسرى.فبعد غزو نروج ودانيمارك زود كل رجل سويسرى بالذخيرة الضرورية .

ومع أن مجموع عدد النـازى السويسريين قليـل إلا أن النزاع بين تشكيلاتهم المختلفة كان شديدا.فكل من اصبح قائدا نازيا كان يطلب من أتباعه فى اجتماعات سرية أن يقسموا ايمانا مغلظة على أن يكون هو وحده الذى ينتخب لضم الوطن السويسرى الى الريخ الثالث .

واليوم لا يـكاد واحد من هؤلاء النازى يـكون قادرا على مواصلة دعاوته فى سويسرا. فهم ما بين سجين أو هارب الى المانيا. وهم لم يحاكموا لاعتناقهم آراء معارضة . للدستور السويسرى ، لأن سويسرا حريصة على أن لاتخلق شهيدا من أى انسان لاسباب سياسية . وقد اثبت « الوطنيون » السويسريون الذين اضطروا الى مغادرة هـــذا المسرح السياسى على تلك الصورة المعيبة ، انهم جميعا ، بلا استثناء على التقريب ، خونة وجواسيس فى خدمة هر هتلر

هكذا كان هر « بوريس تويدتلى » الذى أراد أن ينظم « الاحياء الوطنى » فى سويسرا . وهو من مواليد روسيا وكان يعد نفسه مالكا للجنسيتين الروسية والسويسرية . ولم يكن يكفيه أن يظهر فى « برن » بمظهر « المنقذ » المنتظر ، فكان يذهب الى برلين من حين الى حين مرتديا ملابس الحرس الاسود مع شعار الصليب المعقوف الملون ويشترك فى التدريبات العسكرية بصفة انه نائب رئيس الجامعة الروسية الفاشستية ، وعدو للشيوعية هارب من وجهها ، وذلك فى ثكنات الحرس الاسود فى اثناء مناهضة ستالين . وكان ينتحل صفته الروسية فى تلقيه أوامر الجستابو فيما يتصل بخيانة وطنه السويسرى ، ولكنه كان يلبس ثوبه السويسرى عندما يتسلم « شيكات » بمبالغ غير قليلة جزاء على تجسسه .

وطبيعى أنه لم يكن يود أن تعرف فى سويسرا الاسباب التى من أجلها يتقاضى هذه المبالغ . فكان أمام السويسريين مجرد « صراف » « للجبهة الوطنية » التى تريد اصلاح سويسرا على أساس الاشتراكية الوطنية ، وكان فى الواقع ينكر كل علاقة له بالاشتراكية الوطنية الالمانية

وقد رتب تويدتلى الجزء المالى من أعماله فى خدمة ادارة المخابرات السرية الالمانية ، عن طريق « الخدمة العالمية » فى « اوفرت » فى المانيا وهى نظام معروف باسم « المركز الدولى لمناهضة السامية » يديره رجل بروسى هو اللفتننت كولونيل فليشاور . » وكانت الشيكات التى يتسلمها تويدتلى من الكولونيل تعطى على أنها دفعات لحساب « الابحاث » الخاصة باعمال « شيوخ زيون » ولكن عند ما كشف البوليس السويسرى أن

هذا « البحث العلمى » كان يقصد به فى الحقيقة الى الوقوف على أسرار الجيش السويسرى ، حاول أن يقبض على تويدتلى . ولكن الرجل استطاع أن يهرب عن طريق الحدود الالمانية بمساعدة رجال الجستابو قبل ٢٤ ساعة من صدور الامر بالقبض عليه

وعلى أثر ضم النمسا لالمانيا وقع تصدع فى « الجبهـــة الوطنية » السويسرية ، فقد استقال الدكتور « الفرد زاندر » وهو مدرس ومن أشد المهيجين عنفا ، والسبب الذى بنى عليه الاستقالة هو ان الجبهة ، على الرغم من توكيدها المستمر لوطنيتها المتناهية ، ليست فى نظره من الوطنية فى الدرجة التى ترضيه . ولكى يظهر ولاءه الشديد لبلاده أسس فى الحال هيئة جديدة سماها « اتحاد السويسريين المخلصين »

وكان الدكتور زاندر فى ذلك الوقت قد أصبح بالفعل ذائع السمعة . وفى سنة ١٩٣٦ أسس مع رجل آخر هو الماجور ليونهارد . وهو من منافسيه فى صفة « هتلر الصغير » حركة سويسرية عامة تطالب بتحريم الماسونية على أساس أنها « خطر يهدد الدولة » و « انها تحتفظ بعلاقات دولية خطرة » ودستور الاتحاد السويسرى يبيح اجراء استفتاء اذا قدم طلب خاص بحركة سياسية معينة وكان هذا الطلب موقعا بعدد كاف من الامضاءات . فجمعت الامضاءات اللازمة ، وبقوة الدكتور زاندر هذا وأصدقائه بدئت حملة دعاوة هائلة .

على أن رجال الماسون فى سويسرا لايمكن ، مع ذلك ، اتهامهم بأى شىء يبرر اتخاذ أى اجراء ضدهم ، فقد كانت أعمالهم محصورة فى حدود

الاغراض الخيرية القائمة على البر والاحسان ، ولم تكن هذه الحقيقة بغائبة عن الدكتور زاندر الذى لم يقصـــد مطلقا فى الواقع الى اتهام الماسونيين ، فالغرض الحقيق من حملته هو ادخال الدعاوة النازية من وراء ستار مزيف ، ونزع الثقة من الديمقراطية السويسرية بتوكيدات وهمية فيما يتصل « بحركات دولية خيالية » وقد تجول فى أثناء حملته فى جميع ارجاء البلاد ولم يكن يترك قرية واحدة لا يظهر فيها بمظهر « منقذ سويسرا » من أعدائها « الدوليين »

وقفت الحكومة السويسرية والبرلمان والاحزاب السياسية الكبيرة كلها فى وجه زاندر ، ورفض طلبه باغلبية ساحقة فى الاستفتاء الذى جرى على أثر تقديمه . وقد حاول زاندر بانشائه « اتحـــاد المتحالفين المخلصين » أن يسترد الأصوات التى فقدها . على أن هـذا الزعيم ، مع ذلك قد قبض عليه فى أزمة سبتمبر سنة١٩٣٨ وقدم للمحاكمة هو وستة من أتباعه .

وقد حافظ زاندر ، كما حافظ تويدتلى ، على علاقاته الوثيـــقة بالجستابو . . وهؤلاء الذين أقسموا « بالولاء حتى الموت » لهذا الزعيم الذى وعد بأن لا يستريح إلا بعد أن يصبح «حاكم سويسرا الوطنية » ، قد أصبحوا فى اليوم التالى وكلاء وجواسيس للريخ الثالث . وكانوا بحكم اتصالهم هذا يراقبون عن كثب خطوات ضباط هيئة أركان الحرب السويسرية العامة والمندوبين البريطانيين والفرنسويين فى عصبة الأمم واللاجئين السياسيين من ألمانيا ويتبعونهم كظلهم متجسسين

وكان قد عهد الى زاندر واتباعه بانشاء محطة اذاعة لاسلكية سرية للجستابو ، وكانوا أيضا يكتبون التقارير لهم بحبر كيمائى لا يظهر للعين إلا متى جف . وهم بصفة أنهم جواسيس لم تكن لهم أسماء معروفة ولكنهم كانوا يعرفون بأرقامهم .

وقد حكم على الدكتور زاندر بالسجن ١٨ شهراً ومن ذلك الوقت نقص عدد « هتلر الصغير » السويسريين نقصاناً كبيراً

وفى الوقت نفسه الذى حكم فيه على زاندر اختفى من سويسرا الماجور لينهارد زميله السابق فى الحملة على الماسونية . وكان ليونهارد أشد من زاندر تبجحا ـ إن كان ذلك ممكنا ـ فى حملته على « النفوذ الدولى » الخطر! على أنه قد فضل مع ذلك أن يسجن الآخرون بالنيابة عنه ، وعلى أثر نشوب هذه الحرب مباشرة ، لقى من بقى من أتباعه فى سويسرا هذا المصير بعد محاكمات جرت وراء أبواب مغلقة

— ١٠ —

ماجور تزالاسى

المجرى الصامت

لما احتفل الاميرال هورتى، الوصى على عرش المجر ، بعيده السبعينى فى شهر مارس من سنة ١٩٤٠ ، وجه أحد أركان حربه نظره ، فى كثير من الاحترام ، إلى خطاب تسلمه القصر فى بودابست قبل عام كامل من هذا التاريخ . وكان على هذا الخطاب طابع سجن بودابست العسكرى وكان كاتبه هو السجين رقم ٩٣٢٣

وكان كل ما احتوى عليه الخطاب عبارة واحدة هى : « فى مدى سنة واحدة سنتبادل مكانينا »

والسجين رقم ٩٣٢٣ الذى كان يحلم فى ذلك الوقت بقلب النظام القائم فى المجر وبأن يصبح هو نفسه رئيس دولة المجر ، هو الماجور فيرينك تزالاسى . أو كما يلقب فى المجر ، تزالاسى فيرينك ، وهو زعيم النازى المجريين ، ووكيل هتلر ، فيما بقى من مملكة المجر القديمة . ويسمى أعوانه أنفسهم « المجريين » ويقلدون نماذجهم الالمانية فى آرائهم السياسية وفى وسائلهم الارهابية على السواء . والفارق الظاهر الوحيد بينهما هو شعار الحزب .

ففى المجر اتخذ الصليب المعقوف شعاراً للأقلية الالمانية، أما الرفاق

المجريون الذين يدينون بالولاء للماجور تزالاسى فقد اتخذوا شعارا لهم الصليب المعقوف ذا السهام .

ويقضى الآن الماجور تزالاسى رقم ٩٣٢٣ فى السجن مدة الثلاث السنوات التى حكمت عليه بها المحاكم المجرية بعد أن ثبت لها أن حركاته ترمى الى قلب النظام ، الاجتماعى والسياسى القائم ، بالقوة . ولكن هذا لا يمنع أعوانه ، وكثيرون من قوادهم الأصغر شأنا ، موجودون الآن ، كتزالاسى نفسه ، فى السجن ، من الاستمرار على تحية الماجور على أساس أنه زعيمهم « الفوهرر » ، « هتلر المجر الصغير » ، والى جانب الصليب ذى الأسهم يعلقون ، مخفيا تحت طيات ستراتهم ، شعارا حزبيا آخر فى شكل قرص صغير مطبوع عليه رقم بطلهم السجين .

والطريقة التى استطاع بها هذا الرجل أن يحتفظ بمركزه زعيما غير منازع للحركة النازية فى المجر ، على الرغم من فقدانه كثيرا من صفات الزعيم « الدكتاتورى » ، هذه الطريقة من شأنها أن تلقى الضوء على حالة أتباعه البسيكولوجيه . فتزالاسى ليس بالرجل الموهوب الى حد غير عادى ، سواء من الناحية العقلية أو سواها . ونبوغه الوحيد منحصر فى قدرته على اقامة أنظمة غير مشروعة .

وكان هذا الرجل ، ذو الوجه المستدير البشوش الذى لا يبدو مجريا بصفة خاصة ، ضابطا لا يعلو بحال من الأحوال على المستوى العادى . وهو الى ذلك ضعيف جدا فى الخطابة تنقصه القوة على ترجمة حماسته المتأججة الى لغة منطقية فصيحة . وكان يتعبه أن يصل عبارتين متتاليتين

أحداهما بالأخرى . ومثل هذا اذا حدث فى المجر ، حيث فن الخطابة السياسية قد عنى به العناية كلها ، فاخلق به أن يقضى على جميع الفرص التى تتهيأ لأى انسان آخر من الطامحين الى الشهرة السياسية .

ولكن الماجور تزالاسى قد خلق فضيلة من الحاجة وقد استغل ضعفه بمهارة فى الدعاوة عظيمة . فهو يصور عمله فى المجر على انه الى حد ما رسالة إلهية . فهو نبى لاتدعوه حاجة لأن يتكلم دائما بلسان من نار . وكان يقول فى تبجح انه « لايحتاج لان يكون لسانه دائما معلقا خارج فمه لكى يفهمه الناس » . وقد مثل الرجل إلى أن قبض عليه دور زعيم صامت غير ظاهر — رجل ينتظر ، فى عزلة إآلهية مفروضة عليه ، (أى بعيدا عن المنابر السياسية) الدعوة الى توالى أكبر منصب فى الدولة .

وهذا الصمت « المفروض عليه إلهياً » ، حيث يختلف هذا الهتلر الصغير اختلافا ظاهراً جداً عن نموذجه فى الريخ الثالث ، أحدث أثراً قوياً فى العقليات المجرية العتيقة ، وخاصة عندما يدعو تزالاسى ـ سواء فى أحاديثه أو فى رسائله المكتوبة ، الله أو المسيح أن يكون شاهدا عليه

ومهما يصدر تزالاسى من أمر ومهما يقرر من سياسة مدمرة غير شرعية يمهد لها بقوله فى لهجة لاتتغير : « انى أعلم أن يسوع المسيح يريدها »

ومعظم برنامج تزالاسى منقول عن برنامج الاشتراكيين الوطنيين الالمان ، وحتى فى السياسة الخارجية يدعو تزالاسى أيضا الى فكرة « المجر العظمى »

كان «التعديل» هو أول الأمر ، صيحة القتال التى كان يهتف بها تزالاسى ، أما الآن بعد أن أفادت المجر فائدة كبيرة من تجزئة تشيكوسلوفاكيا وتحقق القسم الأول من برنامج طلاب «التعديل» فقد طلب الرجل من وراء جدران السجن خلق « المجر الكبرى التى تمتد من جبال الكربات الى الأدرياتيك »

ولم يرد أن يضم فقط سلوفاكيا جميعها وتلك الاجزاء من رومانيا ومن يوجوسلافيا التى كانت مجرية قبل الحرب العظمى . ولكنه أراد أيضا أن تتنازل الممالك البلقانية المجاورة عن المناطق التى يعدها هو « مجالا حيوياً للمجر »

وعلى الرغم من أن كثيرا من هذه الاغراض يتعارض مباشرة مع سياسة هتلر الشخصية ، كانت دعاوة « المجريين » تلقى ، بانتظام ، التأييد والاعانة من برلين . فهتلر يرتب أهمية كبيرة على بقاء روح العداء والميول التخريبية حية فى نفوس أعوان تزالاسى ، ولو أن ذلك كان يقابل بالمقاومة الشديدة من حكومة مجرية شديدة الولاء لهتلر . ومن الغريب أن الصحف الالمانية كانت تكرر الالحاح على طلاب «التعديل» المجريين الرسميين فى التزام الحيطة والاعتدال بينما هى تشجع فى السر دعاوى تزالاسى المتطرفة تشجيعا عمليا شديداً

وكانت « سياسة التمجير » تتخذ فى الشؤون الداخلية شكلا ديماجوجيا صاخبا . فمشروعات تزالاسى فيما يتصل باصلاح الملكية العقارية وتوطين الصناعة تظهر فى وضوح الميل الى الشيوعية الوطنية .

وأقوى سلاح فى هذا المستودع الحربى الديماجوجى هو بالطبع الحملة العنيفة على العنصر السامى . وهناسعت الحكومة المجرية، بتشريعها الخاص باليهود ،أن تحول الريح عن قلاع أنصارسياسة التمجير . ومهما يكن من أمر فان تزالاسى يعد أتباعه بأن يعطيهم اكثر ما تقدم لهم الحكومة ويقول إنه متى تولى الحكم فان رجاله الارهابيين و « جبهته السوداء » و فرقة المجريين سيسمح لهم جميعا بأن يقتدوا مثال النازى النمسويين فينهبوا ويسرقوا ويغتصبوا أموال اليهود

وكان لسجن تزالاسى كما لرداءة أحاديثه وضعفها قيمة كبيرة فيما يتصل بالدعاوة . فكان من حين الى حين يبعث بكلمة الى الارهابيين من أصدقائه يقول فيها « ان الله يستبقينى فى الخلوة لتنفيذقضائه النهائى »

ولا يزال التهييج من جانب أنصار تزالاسى مستمراً فى السر على الرغم من حل حكومة تيليكى فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٩حزب « المجريين » ولا تزال الأيدى الخفيـة تلصق على الجدران وحتى على ظهور العربات منشورات مكتوب عليها هذه الكلمات :

ميغالت ماتيـاس كيرالى تورتونين آز اجاتزاج الجن تزالاسى

وترجمة ذلك هى :

« لقد مات الملك ماتيو ، والصـــدق مسجون ، فقوموا مـــع تزالاسى »

والملك ماتيو، أحد ملوك القرن الخامس عشر، معروف بأنه كان أصدق الملوك وأشدهم استقامة وعدلا .

والصدق السجين ممثل فى الماجور تزالاسى .

وكان حل الحزب كأنه صاعقة من السماء انقضت مباشرة قبل موافقة المجر على الانضمام لميثاق مقاومة الشيوعية فى أثناء المناقشة فى قوانين اليهود فى مجلس النواب المجرى

وقد أغلق فى بودابست اكثر من مائتى مركز من مراكز حزب « المجريين » وفتش ١٢٧ منزلا . وقبض على حوالى ٦٠ من الاعضاء الرئيسيين فى الحركة المجرية ، من بينهم سكرتير النائب كولومان فون هو باى المتولى زعامة الحزب فى أثناء سجن تزالاسى ، ولكنه كان متمتعا بالحصانة البرلمانية . ومن المقبوض عليهم الآخرين رجل أسمه « ترك » من زعماء الحزب وفرانز روثر وكوتسيموفسكى أحد الموظفين فى الاعمال الكهربائية ، وهانز فون هانتيهم ،وثلاثتهم ألمانيون وأخيراً ريتيمستر فون برينزى أحد المحالين على المعاش ورجل اسمه هايتو

وقد اهتم البوليس اهتماما خاصا بما يسمى « البيت الأخضر » وهو المركز الرئيسى للحزب فى رقم ٦٠ شارع اندراسى . وفى أثناء التفتيش عثر البوليس على قائمة بأسماء الاعضاء وحصل على مفتاح الاسماء المستعارة وأرقام كثيرين من الأعضاء السريين

وللأخضر فى المجر الأهمية نفسها التى للرمادى فى ألمانيا الهتلرية .

وشعار أنصار تزالاسى زرار أخضر محاط بالألوان المجرية الثلاثة

مضافا إلى رقمه فى السجن ٩٣٢٣ . وقد قرر وزير الداخلية المجرية الدكتور فتيز كيريستس فنجر فى بيان أذاعه أن « الحركة المجرية » كانت تشكيلا ثوريا غير مشروع وحرصا على مصلحة البلاد لا يمكن الصبر على أعمالها بعد الآن .

ويستطيع الانسان أن يكون لنفسه ، من هذا البيان ، فكرة عن خطر هذه الحركة ومداها . وهذا ماتنطوى عليه الكلمات الآتية الصادرة من الحزب الاشتراكى الوطنى :

« لا تزال الحركة المجرية تعترف بزعامة الماجور تزالاسى الذى حكم عليه بتهمة العمل الثورى العنيف لقلب النظام الدستورى والاجتماعى القائم فى البلاد ، وقد كشفت سلطات البوليس ، فى داخل صفوف الحركة المجرية التى يقوم بها الحزب الاشتراكى الوطنى ، هيئة تسمى — الجبهة السوداء — سجل اعضاؤها بارقام بدلا من الاسماء . ومهمة هذه الهيئة هى اعداد قوة مسلحة شديدة المراس ، والنهوض بأعمال البحث والاستقصاء والاعمال البوليسية . وقد توكد فوق ذلك أنه قد انشئت هيئة تحت اسم — قسم معالجة المسائل الخاصة بالحزب وحمايته — وهى هيئة منتشرة فى جميع ارجاء البلاد وتستطيع ، فى حالة تولى الحكم ، أن تنفذ اغراضه بالقوة . .

وقد أعدت شارات جديدة للمشتغلين بالخدمة العامة الذين سيتركون الحزب نزولا على حكم المرسوم الذى دخل فى دور التنفيذ ، وستحمل هذه الشارات رقم ٣٤٠٠ سنة ١٩٣٨ م . ا . الموافق لرقم المنشور الذى

يراد مخادعته. وقد تحدى الحزب التعليمات والأوامر بتوزيع المنشورات في جميع أرجاء البلاد داعيا الى الثورة المسلحة

« وقد نظم الحزب محاضرات سياسية واجتماعات عامة بدون اذن ، وكاد نفر قليل من أعضاء الحزب، الذين تأثروا بالتحريض المستمر ، أن يقدموا على عمل مباشر مبرهنين بذلك على أنهم لا يحجمون عن استعمال القوة ضد البوليس أو الافراد العـاديين . وهؤلاء الذين يشتركون في مظاهرات الشوارع كان اغلبهم أعضاء في هذه الهيئة وقد هتفوا لتزالاسي وطالبوا بحكومة من المجريين ، . وقد اضطر البوليس لأن يحمل عليهم بالعصى والحراب والهراوات .

« يزيد على ذلك أن نفرا معينا من أعضاء الحزب قد القوا القنابل اليدوية على المصلين اليهود عند خروجهم من الكنيس في شارع دوهاني في يوم الجمعة الثالث من شهر فبراير . وقد اظهر التحقيق في هذا الحادث أنه قبل الهجوم مباشرة جاء المعتدون إلى دار الحزب فيشارع اندراسي رقم ٦٠ واخذوا منها القنابل اليدوية ثم ذهبوا من هناك إلى شارع دوهاني

« وجميع اعضاء الحزب لابد من أن يحلفوا اليمين قبل السماح لهم بدخول « الجبهة السوداء » أو « النظام الموضوع لحماية الحزب » ، وفي هذه اليمين يقسم الاعضاء على الولاء حتى الموت وأنه في حالة الخيانة يقبلون الخضوع للقرار الذى تصدره محكمة الحزب ولو حكمت عليهم بالاعدام »

وقد يسأل البعض ، وماذا كانت خطة برلين حيال حزب المجريين » ؟ والجواب على ذلك ان لألمانيـــا في شخص جراف ستيفن تزا كى ،

وزير الخارجية المجرية ، أكثر من صديق ، بل وحتى يمكن الانسان أن يقول ان لها منه خادما لا يتردد فى أن ينفذ جميع الرغبات الالمانية . فتى جاءت اللحظة المحددة لان تلعب المجر فيها الدور الذى قدرته لها المانيا — إما السماح للجيوش الالمانية بالمرور فى الأراضى المجرية أو قبول الحماية — فما من شك فى أن برلين ستذكر عندئذ الرجل الذى رقمه فى السجن ٩٣٢٣ والآن يكفى لغرضهم أن يبقوا المجر فى حالة هياج عاصف بينما يغنى « المجريون » على الآمال ، وأن تبقى حكومة تيليكى هادئة بالوعود المتتابعة أو التهديدات .

وكونت تزاكى وزير خارجية المجر هو لسان الريخ الثالث فى أوربا الوسطى . وامرأته كونتس المانية وهى سيدة جميلة اسمها جرايفن تشورنينسكى . والرجل مدين بمركزه أولا وآخرا لهتلر وحده .

وقد تولى تزاكى ادارة سياسة المجر الخارجية فى الوقت الذى كانت أزمة السوديت قد بلغت أقصى حدتها . والى ذلك التاريخ كانت وزارة الخارجية فى يد الوزير الشيخ كولومان فون كانيا .

وقد أعلمت الدبلوماسية الالمانية « بودابست » انه بغير المساعدة العملية التى يقدمها أدولف هتلر للمجر لن تستطيع هذه أبدا أن تسترد من تشيكوسلوفاكيا « شجرة سنط واحـــدة » وخوفا من ألا تدرك بودابست معنى هذا التلميح نشرت الصحف الالمانية تهديدات صريحة فقالت هذه الصحف للمجر انها كانت بلادا مستعمرة ، فى الأصل ، مسكونة بالالمانيين ، وان المهاجرين الالمانيين هم الذين خلقوها اقتصاديا وثقافيا ، وان الجنس المجرى المتكبر كان فى حقيقته شعبا فقيرا من الرعاة ،

كان أمة من الاغجار قل احترامهم أو كثر .

هذه التلميحات التي لا يخطىء أحد إدراك معانيها ، والتي نشرت فى صحافة دولة كانت حدودها ، فى الفترة التي كتبت فيها المقالات ، تطبق حول المجر كطرفى «الكماشة» ، قد فهمت فى بودابست حق الفهم . فسقط «كانيا» وخلفه الكونت ستيفان تزاكى ، من أنصار سياسة المحور المتحمسين، ولم يترك هذا الوزير، المناصر صراحة للنازى، موضعا للشك فى أنه يسره السرور كله أن يلبي رغبات هتلر بكل وسيلة ، وكذلك كان راضيا كل الرضا بان يوجه سياسة المجر الخارجية الى ما يتفق اتفاقا كليا مع مصلحة الريخ الثالث ، وأن يحول المجر الى نقطة امامية فى طريق هتلر الى البلقان

وكان من المسائل البديهية فى نظر الكونت تزاكى انه، تحت ضغط برلين، يجب أن يسمح للاقلية الالمانية فى المجر أن تشتغل علنا بالدعاوة النازية. فنظم هؤلاء الالمانيون الذين يقرب عددهم من ٤٧٨٠٠٠ نسمة أنفسهم علنا فيما يسمى « فولكسبند در دوتش ان أونجارن » أو الاتحاد الوطنى لألمان المجر ويعمل هذا الاتحاد تحت اشراف النظام الاشتراكى الوطنى ، وقد استقال مديره السابق جراتز . وطبيعى أن يستخدم هذا الاتحاد للدعاوة والتجسس فقط . وقد ترتب على تنفيذ قوانين اليهود واخراج اليهود من مراكزهم ان خلت آلاف من المناصب فعين فيها المانيون من الموثوق فيهم. وقد اضطرت الحكومة المجرية الى قبول ذلك وانفها فى الرغام

وكان السفير الالمانى هنا ، كما كان فى كل بلد من البلدان التي ذهبت ضحية التابور الخامس — هو الرأس المجهول لهذا النظام . وكان فى جيبه مفتاح غرفة السجين رقم ٩٣٢٣

الجاويش لندهولم

فى أثناء الحرب الروسية الفنلندية عندما كانت عدة آلاف من الشبان السويديين يتطوعون لمساعدة الفنلنديين فى الدفاع عن حريتهم ، ظهر فى مركز التجنيد باستوكهلم جاويش صغير من سلاح المدفعية فى الجيش السويدى. فلما ذكر اسمه اعتدل الرجال، الذين كانوا منكبين على قوائم التطوع ، فى جلستهم.

وسأله الرجل المنوط به تسجيل الاسماء فى شيء من الشك : « س.ا. لندهولم . ؟ س . ا . لندهولم ؟ »

فاجاب الجاويش : « نعم ، س . ا . لندهولم . فقد استقلت منذ قليل من الجيش لأقدم خدمتى لفرقة المتطوعين »

فأشر على الطلب بالارجاء « لإعادة النظر » وبعد ظهر ذلك اليوم نفسه ارسل تلغراف مستعجل الى هلسنكى جاء فيه :

« تطوع س . ا . لندهولم زعيم حزب النازى السويدى للخدمة فى الجيش الفنلندى »

وفى اليوم التالى وصل رد مقتضب ولكنه عظيم القيمة جاء فيه :

« لندهولم غير مطلوب »

ولكن القيادة الفنلندية العليا رفضت السماح لممثل هتلر فى السويد

بالانخراط فى سلك الجيش الفنلندى . فارغى لندهولم وأزبد وقال « انه من العار ان ترفض خدمتى فأنا قوى سليم الجسم أحسن التزلق على الجليد . ولكنى أظنهم لا يحسبوننى من الديمقراطية على القدر الكافى . فالاشتراكيون الديمقراطيون كانوا يحاربوننى »

لم يكن لندهولم زعيما للنازى السويدى منذ وقت طويل . وكان سلفه جراحا بيطريا ، يسمى جورنجارد ، من مقاطعة فارملاند ، وكان رجلا غريب الاطوار تجذبه التدريبات العسكرية والمشية العسكرية والملابس الرسمية للنازى الالمانيين . وفى الوقت الذى تولى فيه هتلر حكم ألمانيا كانت السويد تعانى أزمة اقتصادية . وكان عدد العاطلين من العمل عظيما إذ بلغ ١٨٠٠٠٠ كلهم من الرجال الاشداء الاصحاء الذين اضطرتهم الازمة لان يتعطلوا

فرأى جورنجارد ، ذلك البيطار الصغير الحقير ، ن أهذه هى فرصته فترك حياة الريف الهادئة البعيدة عن الحوادث وذهب إلى استوكهلم يخطب مناديا « بأنقاذ السويد على يد النازية » فلم يلبث أن جمع حوله بضع مئات من الاتباع — كلهم من العاطلين المتعضين والمتعصبين والشبان الميالين إلى الحركات العسكرية والصبية الذين كانوا يسيرون متحمسين بقمصانهم السوداء وأحذيتهم العسكرية ارتفاعا المرتفعة غير معقول، فى شارع كنجسجاتان اكبر شوارع العاصمة السويدية وهم يصرخون بكلمة « يعيش » ولكن خبطات هذه الاحذية الثقيلة لم تلبث أن تقطعت ولم تعد لتزعج شوارع استوكهلم . وانتهت الأزمة الاقتصادية

لا يعمل جونجارد وحركته ولكن ، على العكس من ذلك ، بالسياسة الماهرة التى تبعتها حكومة الاتحاد ، وتبعت ذلك فترة رفاهة عظيمة. وبهذه الطريقة فقد البيطار المشاغب أحسن وأقوى حججه. بل لقد فقد حتى ما هو اكثر من ذلك ، فقد الرداء الرسمى « لحركته » فقد حرمت الحكومة المشى والتدريب والمظاهرات بالملابس العسكرية لتنافى ذلك مع المزاج السويدى. وبذلك، وقد يبدو هذا غريبا ، فقدت الاشتراكية الوطنية قسما كبيراً من أنصارها فى السويد. ولم يعد الصبية الذين خلعوا قمصانهم السوداء وأحذيتهم العالية ليهتموا بأحلام جونجارد وتنبؤاته.

ومع ذلك كان مجرد سوء الحظ الشخصى هو الذى أخرج « هتلر السويد الصغير » رقم « ١ » من ميدان العمل. فقد فقد الرجل فى يوم من الايام صوته ولم يعد قادراً على مخاطبة الجماهير أو الصياح بالتنبؤات فيما يتصل بسقوط الحكومة. وعندما وقف ليتكلم لم يستطع أحد غير الجالسين فى الصف الأول أن يسمع شيئا غير نقيق خشن.

وكان هذا الفشل هو خاتمة الجراح البيطرى ، فترك استوكهلم وعاد إلى مقاطعته الاصلية فارملاند التى لم تكن العواطف السياسية قد لامستها بعد.

وجمع لندهولم ، هتلر الصغير رقم ٢ بقايا هذه الحركة ، وبمساعدة عدد قليل من الاتباع نظم حزبا نازيا جديدا غرضه الأول معاونة الوكلاء الالمانيين غير المأجورين الذين تدفقوا على السويد . وحتى فى هذه اللحظة لا يوجد كثيرون من النازيين فى هذه المملكة السكندافية الوحيدة التى لم يبتلعها هتلر بعد. ولكن وسائل التحرض . التى يلجأ

اليها رجال الطابور الخامس الذين يأتون إلى البلاد فى تيار غير متماثل

والدكتور جيرهارد كليبرج هو القائد العام ، وهو فى نظر جميع معارفه رجل جذاب جدا . وقد أخبر فى أول الحرب جريدة «ناشونال تسيتنج» التى كانت اذ ذاك جريدته الخاصة ، أن بريطانيا العظمى طلبت مطارات سويدية لطائرات سلاح الجو الملكى البريطانى ، وان الجيوش البريطانية كانت على وشك النزول الى البر فى جنوب السويد . وقد التزم هتلر أن يمنح الدكتور كليبرج الحصانة الدبلوماسية ساعة الحاجة .

ثم يأتى بعد ذلك الكابتن هرمان بولت ، وهو ضابط سابق فى سلاح الغواصات مغرم بقيادة اليخوت ويزور أحيانا مدن الشاطىء باحثا عن قصة جميلة . وهو الفوهرر الحزبى للصحفيين الألمان فى السويد . وهناك علم آخر من أعلامهم هو الدكتور سيجورد باولسن المفروض أن هتلر يقرأ أقواله بانتظام .

والى وقت قريب كان الكونت روزن يمثل دورا رئيسيا فى الحزب النازى . والكونت روزن هو أخو امرأة جورنج الأولى .

وقد عمل روزن أكثر من أى انسان آخر لتأييد قضية الصليب المعقوف فى السويد ، ولكنه الآن مسجل فى قائمة من سينزل بهم هتلر انتقامه ، لأنه ترك الحزب فى اللحظة السابقة مباشرة لتدمير النازيين البلاد النرويجية

ولم يخف الكونت روزن السبب الذى حمله على ترك الحزب . فقد بدأت الخلافات فى الرأى فى شهر أغسطس من سنة ١٩٣٩ . ففى ذلك

الوقت أظهر الكونت ، فى مجلس رفاقه فى الحزب ، كرهه للميثاق الذى عقده هتلر مع ستالين . ولكنه استمر فى الوقت نفسه مخلصا لحزب النازى . ولم يقرر الانفصال منه إلا عند ما غزا الجيش الأحمر فنلندا . فقد اتخذ علنا موقف المعارضة للحكومة السوفياتيه وللنظام النازى حليفها

ومع ذلك لم يحدث ذلك أثرا خاصا فى برلين . ولا يزال جورنج يحتفظ بعلاقات اجتماعية عديدة مع العاصمة السويديه ، وبخاصة مع عدد من الضباط البحريين . وبعض ضباط البحرية السويدية مرتبطون ارتباطا وثيقا بجماعة من ذوى النفوذ النازيين ، حتى أنه كان من الممكن أن يظهر على صفحات جرائد معينة ذلك الاصطلاح الذى لا مبرر له مطلقا : « الأسطول الرمادى » .

وجورنج ميال لأن ينظر الى السويد كأنها ملكه الخاص . فهو يدفع جوبلز جانبا وينغمر فى نوع من الدعاوة شفاف بقدر ماهو نشط . فلما وصلت الى برلين أخبار ضرب البارجة كوراجيوس بالطوربيد ، تحدثت مدام جورنج ، فى الحال، تليفونيا مع جميع أصدقائها ، فى استوكهلم، قائلة انها أرادت أن « تجرب التليفون لترى إن كان فى حالة جيدة » ومن الطبيعى جدا أن تنتهز فى اثناء حديثها ، الفرصة لاذاعة « هذا الخبر العظيم » ولتطلع هؤلاء الاصدقاء على بعض التفصيلات فيما يتصل بالحياة فى برلين وغير ذلك . ولاتكاد تدعو الحاجة الى القول بانه فى اليوم الذى ألقت فيه الطائرات البريطانية القنابل على السفن الراسية فى مرفأ كييل الحربى ، لم تظهر مدام جورنج أقل رغبة فى أن ترى اذا كان من الممكن التحدث

من برلين تليفونيا مع استوكهلم !

ولما خاب أمل هتلر فى روزن ، عاد فسقط من جديد على «سفن هيدن» ودعا هذا الأخير الى برلين حيث استقبله استقبالا رسميا . وعامله جورنج وجوبلز معاملة ضيف عظيم مكرم ورحبت به الصحف النازية اكمل ترحيب مثنية الثناء كله على مواهب هذا الرجل العبقرى الممتاز .

وقد ظنت برلين إذ ذاك أن «سفن هيدن» قد يصبح رئيس مايسمى الاتحاد « الوطنى » الذى سيزيح الديمقوقراطيين الاشتراكيين ويقيم حكومة صديقة للريخ .

و«سفن هيدن» شخص غريب مزعج . فقد سافر فى سن العشرين لارتياد بلاد العجم والعراق ، فاجتاز آسيا خمس مرات وجبال همالايا ثمان مرات . وكان أول أوروبى دخل متخفيا الى «لهاسا» عاصمة التبت ولم يخف قبل ذلك من الذهاب الى صحراء الجوبى وحيدا وعلى قدميه .

واذا كان «سفن هيدن» عالما فى السلالات البشرية ذائع السمعة فقد أصبح رئيسا لاكاديمية العلوم فى استوكهلم منذ سنة ١٩٠٢ ، ولكنه أيضا أحد المؤسسين لجمعية مناصرة الجرمانية .

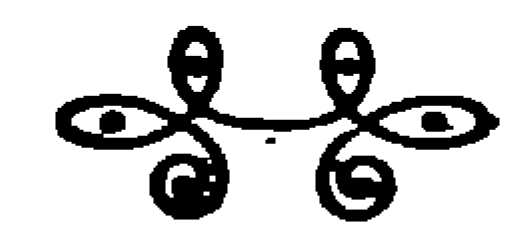
كذلك لعب الرجل دورا هاما فى التوسط الالمانى السويدى لانهاء الحرب الروسية الفنلاندية .

ولكن هذا الحزب السويدى الوطنى كان أكثر ضجة منه عملا منتجا . فلم يستطع قط أن ينجح أحد مرشحيه فى الانتخابات . وفى اليوم التالى لاحتلال براغ نبذ هذا الحزب — من باب الاحتياط شعاره —

الصليب المعقوف الاصفر — ومن ذلك الحين شهدنا الحرب الفنلاندية وغزو دانيمارك ومقاومة نروج الرائعة .

وقد أفسدت يقظة السلطات السويدية محاولة رجال لندهولم استغلال احتلال دانيمارك ونروج . فمنع فى الوقت المناسب الانقلاب السياسى الذى كان مقترحا ، واحتل البوليس مركز رياسة النازى

وقد أصبح الحزب النازى اليوم فى مركز أسوأ مما كان فى أى وقت مضى .



« اديث الجميله » وشومر

« طائر النحس »

قصة تجسس من رومانيا

فى ٢١ مايو سنة ١٩٤٠ عبر رجلان ، تحت ستار الظلام ، الحدود البولاندية الرومانية فيما بين كولوميا فى غاليسيا وسرنوتى عاصمة بوكوفينا ، وقد جاءا من بولندا المحتله وكانا فى طريقهما الى رومانيا . ولم تنقذهما لحيتاهما الزائفتان ولا جوازا سفرهما المزوران دون القبض عليهما بعد بضع ساعات من اجتيازهما الحدود بناء على اشارة سرية من البوليس .

وكان أحد الرجلين هو الاستاذ هوريا سيما ، الذى كان زعيما خطير الشأن « للحرس الحديدى » بعد موت كودرونى ، وقد هرب الى ألمانيا ، وحكمت عليه المحكمة العسكرية فى بوخارست فى ٦ يناير سنة ١٩٣٩ بالسجن ست سنوات .

وكان الثانى رجلا اسمه بيترسكى كان هو أيضا رفيقا وثيق الصلة بكودرونى منذ عدة سنوات . وكان الرجلان مقيمين منذ اكثر من سنة فى برلين حيث احتفظ بهما ، بصفة انهما اخصائيان فيما يتصل بالتابور الخامس ، ليرسلا إلى الخارج عند أول اشارة .

وواقعة اجتيازهما الحدود الرومانية فى مايو سنة ١٩٤٠ تثير الاعتقاد بأن هتلر كان يفكر فى إحداث حركة ضد رومانيا ليضع يده على آبار الزيت التى اشتدت حاجته اليها . وعلى ذلك اتخذت الحكومة الرومانية احتياطات شديدة جداً لحماية هذه الآبار . وما من شك فى أن المانيا ستحاول غزو رومانيا بحرب خاطفه لتحول دون تخريب هذه الآبار أو أشعال النار فيها .

ولقد كانت رومانيا منذ سنوات مسرحا لنشاط الوكلاء الالمانيين الذين أقاموا شبكة من الجاسوسية واسعة النطاق فوق البلاد جميعها . وتحاول الحكومة الرومانية على الدوام التخلص من هؤلاء المئات من الوكلاء والجواسيس بنفيهم الى الخارج ، ولكنهم يواصلون التدفق على البلاد فى تيارات لا نهاية لها ، فى صورة سائحين أو رجال أعمال أو صحفيين حاملين جوازات سفر دبلوماسية باعتبارهم أعضاء فى الهيئة الدبلوماسية الألمانية فى بوخارست . تلك الهيئة التى إذا قورنت ببعثات الامم الأخرى ظهر أنها تحتوى على عدد كبير جدا من الرجال .

وما أحوجنا الى ريشة روائى أو كاتب من كتاب قصص التجسس الخيالية لتصوير حركات التقويض التى أبقت رومانيا فى حالة اضطراب مستمر ، منذ الوقت الذى انشأ فيه كورنيليوس زيليا كودرونى حرسه الحديدى ، وهى الحركة التى جعلت من الفاشستية الايطالية والنازية الالمانية المثال الذى احتذته .

ولن نجد ما هو ابلغ فى التمهيد لسرد قصة الرجل ، الذى كان ،

أداة هتلر فى رومانيا ، الى اللحظة التى انتهت فيها حياته تلك النهاية المفجعة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨ ، من وصف القتلة الشنيعة التى حلت بميخائيل استيليسكو الذى كان أحد شركاء كودرونى ثم حكمت عليه المحكمة السرية بالاعدام لخيانته الاسرار . فقد اقتفى اثر الرجل ، بأمر كودرونى ، الى المستشفى الذى لجأ اليه

فلم يكد استيليسكو يوضع فى السرير على اثر عملية الزائدة الدودية التى عملت له حتى اندفع قتلته الى الغرفة ، وكانوا ثمانية رجال فى ملابس الحرس الحديدى ، فدفعوا الطبيب والممرضة جانباً وصاح زعيمهم :

« ايها الخائن يجب أن تموت الآن ! »

وكانوا قد احضروا معهم أدوات التنفيـــذ الفظيع وهى ساطور ولوح من الخشب .

وفى دقة شديدة قطعوا يد فريستهم اليمنى بينما المنفذ يقول : « اننا نقطع يدك اليمنى التى حلفت بها اليمين التى نكثتها ! »

فتدفق تيار شديد من الدم على فراش الرجل التعس

ثم قطعوا يده اليسرى بدقة شديدة وبدون تسرع بينما المنفذ يقول : « هذه هى اليد التى تناولت أجر الخيانة . »

ثم بقروا بطنه فسقطت الامعاء الى الارض

ومات استيليسكى بعد أن قذف باكثر من ثلاثين رصاصة .

وقد قبض على القتلة فيما بعد وحكم عليهم بالاشغال الشاقة لمدد طويلة . وفى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨ قتلوا رمياً بالرصاص هم وزعيمهم

كودرونى عند محاولتهم الفرار من السجن .

ولد كورنيليوس زيليا كودرونى فى نهاية القرن الماضى وفى سنة ١٨٩٩ على وجه الدقة . وفى الثالثة والعشرين كان طالبا بجامعة بوخارست ومنشىء حركة « الشباب الوطنى » فى المدارس العليا فى جميع أرجاء البلاد . وكان من طراز الطلاب الذين يوجدونَ غالبا فى المقاهى والاجتماعات اكثر من وجودهم فى قاعات المحاضرات . كان شابا خشنا له شعر أسود كث فوق عينيه الزرقاوين الجامدتين لدرجة غير عاديه . وقد عرف بعدم الاكتراث بالاخلاق ، وبالخشونة وقوة الارادة ، وعدم الخوف وبالوقاحة ، وكان يلبس دائما ياقة قذرة ، وينفجر باشد الآراء جنونا .

وفى ذلك الوقت وصل الى رومانيا من المانيا كثيرون من المغتالين السياسيين . وكان ارزبرجر وراثينو قد قتلا . وهرب القتلة الالمان الى البلقان والمجر ورومانيا وحتى تركيا ، ووجدوا ، بين شباب بوخارست المتعصبين الذين نشأوا بعد الحربُ الماضيـة ، عنصراً مشابها لهم فى آرائهم . وتبين كودرونى ان عملية « تطهير » تجرى مجراهـا فى المانيا . واصغى الى قصص عن هتلر ، السيد المنتظر لتلك البلاد . وكان كودرونى دائما من المعجبين بألمانيا ومن المعادين للسامية ، فالتقطت اذناه البارزتانه فى لهفة ، جميع القصص التى رواها هؤلاء القتلة الرشقاء .

وكان عدد كبير من مثقفى بوخارست ميالين على الدوام الى أوربا الغربية وإلى باريس على وجه أخص . ولم يكونوا يفضلون فقط قصص باريس ومستحدثاتها وعطورها ولكنهم كانوا كالفرنسيين يقدرون

الحرية قدرها. وكان الجيل الأكبر من الطبقات المثقفة قد نشأ فى السربون. ولكن بعد الحرب العظمى ذهب كثيرون من الشبان الى برلين فى طلب العلم. وهناك ألموا بعلم غريب هو فن القاء القنابل والاغتيال السياسى والتآمر وتنظيم «الحرس الأسود» الى غير ذلك من أمثال هذه المسائل.

وكثيرون من أصدقاء كودرونى الطلبة كانوا فى المانيا. فامتزجت الآراء الهتلرية، التى جاءوا بها، بالفقاقيع الثورية التى كانت تطفو من رأس كودرونى.

وكانت التصورات الخرافية المنتشرة فى قرى «والاخيا» قد تمكنت من رأسه، كفكرة الشيطان الذى يلبس جسم الانسان، واليهود الذين كانوا حلفاء الشيطان. وازداد احترامه للقتلة الالمان عندما نزعوا، مبتسمين، الخرافات القديمة من رأسه، ولقنوه بدلا منها أضاليل هتلر الجديدة، فلقنوه نظريات «الدم والتربه»، و «سيادة العنصر الآرى».. ويستطيع الانسان أن يرى فى صورة فوتوغرافية أخذت لكودرونى عندما جعل نفسه زعيما للحرس الحديدى، ثلاث لوحات معلقة على جدران غرفته: احداها صورة «رأس الملائكة ميخائيل» التى كان فى الاصل رمزا للحركة — التى كانت تسمى فى ذلك الوقت «فرقه الملاك ميخائيل» — والصورة الثانية صورة «السيد المسيح»، والثالثة صورة كورنيليوس زيليا كودرونى نفسه.

وفى سنة ١٩٢٣ كان كودرونى وتلاميذه اتباعا لكوزا زعيم الحزب

المناهض للنازية ، الذى لعب بعد ذلك دورا أخيرا فى وزارة جوجا .
وقد الهبت طباعه الحادة غيره واكتسحته هو أيضا . وعند ما كان كودرونى فى سنة ١٩٢٣ يؤدى شهادة فى المحكمة أطلق الرصاص على فون جاسى مدير البوليس الذى منع المظاهرات التى يقوم بها الطلبة ضد السامية . وانتهت الاجراءات المثيرة التى أعقبت ذلك الى اتهامه بالقتل . ولكن كودرونى قد برىء من التهمة لأن الرعب قد دب الى قلوب القضاة لسلطات خائفة .

وبعد بضع سنوات شعر كودرونى بانه من القوه بحيث يستطيع أن يؤسس حركة خاصة به . وكانت هذه الحركة هى « فرقة الملاك ميخائيل » التى لا تزال اسمها يطلق على أعضاء الحرس الحديدى. وانضمت العناصر الاشتراكية الوطنية والفاشستية الى صفوف المعارضين للسامية . ولم تكن واجبات أعضاء فرقة الملاك ميخائيل منحصرة فى التصويت ولكنها كانت تتضمن « القتال حتى الموت »

ونظرت الاحزاب والحكومة ، فى هدوء ، الى هذه الحركة فى طفولتها . ولم يدركوا ماتنطوى عليه من خطر . وترك لتيتلسكو وزير الخارجية أن يطلب من حكومة دوكا حل « الحرس الحديدى » وتنفيذ هذا الحل ، فكانت النتيجة المحزنة لهذا الحل هى اغتيال مسيو دوكا رئيس الوزارة فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٣ فى محطة سينا حيث أطلق عليه رجال الحرس الحديدى ثلاث رصاصات .

وكان القتلة ثلاثة من الطلاب هم نيكولاى وكاراميكا ودورا بيليماس

وقد أطلق على ثلاثتهم اسم « نيكودورى » وهى كلمة مؤلفة من أوائل اسمائهم . وقد حوكموا وقضى عليهم بالاعدام ، فاقتيدوا الى خارج المحكمة وهم يبتسمون .

وكان الأمر بحل الحزب لا يزال قائما ولكن السلطات أغمضت عيونها وتغافلت عن حركات اعضائه ، فاستمروا فى العمل وفى التنظيم . فاقاموا « معسكرات العمل » وبنوا بيوتا لاعضاء فرقة الملاك ميخائيل . وشكلوا نظاما حزبيا خاصا ، فما جاءت سنة ١٩٣٥ حتى كانوا قد نجحوا فى تأسيس حزب سموه « توتول باتريا » ومعناها « كل شىء للبلاد » فاتخذ هذا الحزب مكانه فى الميدان السياسى . وكانت الفترة التى تلت ذلك هى الفترة التى قتل فيها استيلسكى .

وكان بين الذين قتلوا من رجال الحرس الذين حاربوا الى جانب الجنرال فرانكو فى الحرب الاسبانية الأهلية رجلان من أصدقاء كودرونى المقربين ورفاقه فى العمل هما موتزا ومارين . فنقل رجال الحرس جثتيهما الى رومانيا واحتفلوا بدفنهما احتفالا مهيبا مؤثراً

وفى سنة ١٩٣٦ وهى السنة التى قتل فيها استيلسكى نظم كودرونى مظاهرة أراد بها ان يتبين إذا كانت الفرصة قد حانت لإحداث الانقلاب الدموى .

وفى الانتخابات البرلمانية فى سنة ١٩٣٧ حصل حزب « توتول باتريا » على ١٦ فى المائة من اصوات الناخبين . وجاءت على الاثر وزارة جوجا فى انتخابات دورة سنة ١٩٣٧ — ١٩٣٨

ولقد كان تعيين هذا الزعيم الشاذ المريض المعادى للسامية رئيساً للوزارة محاولة من مستشارى الملك كارول لتحويل الريح عن قلاع كودرونى ، بينما ترك اليهود ، الذين يزيد عددهم على المليون ، تحت رحمة هؤلاء الذين ارادوا ان يجردوهم من حقوقهم المدنية .

وصلت رومانيا إلى حافة الخراب الاقتصادى والمالى . فأعلن كودرونى أنه راض بأن يترك حكومة جوجا هادئة فلا يزعجها ولا يتدخل فى التجربة المقصودة باقامتهـــا . ولكن هذه التجربة لم يزد عمرها على أسابيع .

وانتهجت وزارة البطريرك ميرون كريستيا التى جاءت بعد ذلك سياسة دكتاتورية . فحلت جميع الاحزاب — وقد قطع حزب كودرونى الطريق على هذا الأمر بأن حل نفسه بأرادته — ولكن المشكلة الاساسية فيما يتصل بسياسة رومانيا الداخلية بقيت على حالها — وهى مشكلة الحرس الحديدى .

وفى أثناء الاشهر التى تلت ذلك حتى خريف سنة ١٩٣٨ حافظ الحرس على الهدوء وهذه كلمات كودرونى نفسه « إنهم لن يعودوا إلى أى عمل من أعمال التحريض أو العنف » حتى أنه عندما حكم على كودرونى بالسجن ستة شهور على جريمة الطعن والتشهير وبالأشغال الشاقة عشر سنوات بتهمة الخيانة العظمى ، قوبل خبر الحكم بالهدوء التام ، ولم تبدأ الاضطرابات إلا عندما رفض الاستئناف الأخير . وحاول بعضهم مرة أو مرتين نسف كنيس لليهود ، وبدأت حركات أرهاب الافراد

ورميهم بالرصاص ، فأجابت السلطات على ذلك بالقبض الاجمالى على رجال الحرس الحديدى الذى استطاع البوليس أن يثبت مسؤوليته عن جميع هذه الحوادث الاجرامية .

وفى الوقت نفسه كان « الكابيتانول » وشركاؤه مشتغلين بجد فى نشر آرائهم فى جميع أرجاء البلاد مشافهة . وكما تنتشر الأعشاب الفطرية فوق الأرض بعد مطر الصيف ، انتشرت فى كل ناحية من نواحى البلاد حانات صغيرة لا يلفت اليها النظر غير اللوحات الخضراء المكتوبة عليها أسماؤها ، ولم تكن هذه اللوحات الخضراء معروفة إلا للمطلعين . فهذه الحانات هى التى يستطيع رجال الحرس الحديدى أن يشربوا فيها الخمر الجيد بأثمان رخيصة ، ونهضت هذه الحانات بأعمال ناجحة إلى أن تحركت الحكومة وغلقتها . وألقى كودرونى ، فى خطاب كتبه ، مسؤولية هذه الحركة على البروفسور جورجا وزير الدولة فى ذلك الوقت ، واتخذ الوزير الاجراءات التى يبيحها الدستور الجديد ، ضد كاتب الخطاب لإهانته أحد الوزراء .

ويؤخذ من المراسلات الرسمة أن كودرونى قد أعد جميع الوسائل للزحف على بوخارست . ومن الصعب أن نقول إذا كان كودرونى قد قصد حقا إلى ان يقتدى مثال موسولينى فيزحف على العاصمة أو أنه أراد بهذا الزحف أن يعتبر عملا رمزيا . ذلك لأن البوليس قد تدخل فى الامر ، فأودع السجن كودرونى ومساعديه

وكانت التهمة التى وجهت الى كودرونى فى محكمة بوخارست

العسكرية هى الخيانة ، فقد وجدت فى حيازته مستندات تتصل بسلامة الدولة ، وكان من نتيجة تفتيش « البيت الاخضر » فى بوخارست الجديدة ، ومكتب حزب « توتول باتريا » حزب كودرونى المنحل من نفسه ، أن ظهرت كما جاء فى ورقة الاتهام ، جملة أدلة خاصة بالحركات السياسية التى اضطلع بها رئيس الحرس الحديدى ثبت منها أنه كان مشتغلا بالمؤامرات السرية

وقيل أن كودرونى قد شكل من بين أتباعه وحدات عسكرية بلغ من كثرة عددها أن فرقتى موتزا ومارين احتوتا على ثلاثة عشر معسكرا فى كل منها ٧٧١ رجلا . وكان فى كل معسكر خمس فصائل وكان هناك الى جانب ذلك فرقة مؤلفة من رجال الخدمة السابقين تحت قيادة كولونيل من الاستيداع

ومضت ورقة الاتهام تقول «أنه لم يكن من الميسور إيجاد هذا النظام العسكرى إلا عن طريق التنظيمات السرية والتآمر والارهاب . وقد وجدت المنشورات التى تحرض الاعضاء على أعمال العنف ، كذلك وجدت قوائم سوداء بأسماء أعداء هذا النظام السرى» ، ثم دخلت ورقة الاتهام فى تفصيلات واسعة فيما يتصل بتكوين الخلايا التى كانت هى نواة النظام الواسع الانتشار ، وفيما يتصل « بأخوة الصليب » التى كونت فى المدارس لضم شباب البلاد الى الحركة ، الأمر الذى جرهم الى غمرة العواطف السياسية فدمرهم روحيا . كذلك جاء فى ورقة الاتهام نص خطابين بعث بهما والدان من آباء الطلبة يوجهان فيهما التهم الى « مفسد الشباب » .

وكانت أشد التهم خطراً هي التي جاءت في الدليل الذي قدم على وجود ادارة مخابرات سرية واسعة النطاق أقامها كودروني في داخل هيئة القيادة العليا وبوليس الدولة ودار الحكمدارية في بوخارست. وكانت هذه الادارة تعمل تحت التعليمات المباشرة التي يصدرها كودروني وكان على مخبريه أن يظهروا في فترات محددة لينقلوا أخبارهم اليه شخصيا ثم سردت ورقة الاتهام قائمة كاملة بالاسلحة التي وجدت لدى العشرة الآلاف العضو الذين تتألف منهم هذه القوة العسكرية

وأخيرا ظهر أيضا ان كودروني أخذ ٤٠ مليون لاى من المانيا. وانه عمل مع تشكيلات أجنبية لكي يعقد محالفات سياسية واقتصادية مع دول أجنبية من وراء ظهر الحكومة الشرعية في البلاد. واتهم كودروني بأنه كان يستعد لاحداث الاضطرابات كما اعد مستودعات للاسلحة في اماكن مختلفة في كل ناحية من نواحي البلاد وأنه سلح أعضاء حركته، وخلق وأنشأ نظاما عسكريا بقصد إشعال نار الحرب الاهلية بتحريض الشعب على الثورة.

كان هذا هو المركز عند مانشر في ٣٠ نوفمبر سنة ٩٣٨ بلاغ جاء فيه أن كودروني وثلاثة عشر رجلا آخرين من أكبر رجال حزبه الذين كان محكوما عليهم معه، قد قتلوا رميا بالرصاص في أثناء محاولتهم الهرب من السجن.

وبدا على الفاشستيين أن الرعب قد دب الى قلوبهم وأن حركتهم قد شلت بفقدهم زعمائهم. وقد صرحوا بقولهم: «ان هذا اليوم عندنا

هو يوم ٣٠ يونيه سنة ١٩٣٤» — مشيرين بذلك الى تصفية هتلر حساب المتآمرين النازيين بحمام الدم المشهور

وآخر جريمة لرجال الحرس الحديدى هو محاولة اغتيال البروفسور جوانجا ، العميد الحر لجامعة كلوج وقتل البوليس الملكى الذى كان يحرسه

وقد وصلت مئات من خطابات التهديد إلى المستشفى الذى كان البروفسور جوانجا راقدا فيه فى حالة شديدة الخطر . وقد فحص خط خطابين مرسلين إلى عضوين من أعضاء البيت المالك، بواسطة خبراء فى الخط ، كلفهم بذلك البروفسور جورجا ، رئيس الوزارة السابق ، وقد قرر البروفسور: «ان خواص الخطابين تظهر أن كاتبتهما امرأة ارستقراطية ـ وان هذه السيدة قد تعلمت فى فرنسا »

وكان الارستقراطى الوحيد بين المقبوض عليهم من رجال الحرس الحديدى هو البرنس الكسندر كانتا كوزينو ، الذى تعلمت كثيرات من اقاربه السيدات فى فرنسا .

وكان كودرونى فى الثامنة والثلاثين من عمره عندما قتل فى اثناء نقله من سجن جيلافا العسكرى خارج بوخارست

وكانت الأوامر قد صدرت للجنود بأن يلجأوا إلى اشد الوسائل عند اية محاولة للهرب . وقد جاء فى تقرير القيادة العليا لفرق الجيش انه فى الساعة الخامسة صباحا اطلقت النار فجأة على القافلة من الغابة المحيطة بطريق بوخارست ـ بلويستى على مسافة ٢٥ ميلا من العاصمة .

والنقطة التى قيل أن النار اطلقت فيها هى امتداد للطريق تكتنفه

الغابات الكثيفة من الجانبين على مقربة من قرية تانكابستى . فوقفت السيارة الكبيرة المقلة المساجين ووقف حرسها للرد على النيران ، وقيل إن المساجين انتهزوا هذه الفرصة ووثبوا فى الحال من السيارة مندفعين إلى الغابات .

ويقول التقـــرير الرسمى أن الحراس : « قد ادوا واجبهم الرسمى كاملا » بالنداء على الهاربين أن يقفوا ، ولكن بدون فائدة ، وعندئذ اطلقوا عليهم النار من مدفع رشاش ومن البنادق فقتلوهم جميعا .

ثم حملت جثثهم إلى السيارات وغطيت بالقماش وأخـــذت إلى بوخارست فاجتازت قلب المدينة وخرجت منها إلى حصن جيلافا والسجن العسكرى على مسافة ١٢ ميلا من الجانب الآخر من بوخارست . وهناك دفنوا داخل اسوار السجن بدون احتفال دينى .

وبعد بضعة أشهر وفى يناير وفبراير من سنة ١٩٣٩ تأججت الحركة ثانية وتجددت حوادث الهجوم والقتل

وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٣٩ اطلق الرصاص فى منزل بشارع « فياتور هيسكو » ببوخارست على « فازيل كريتسكو » وهو قسيس واستاذ جامعى كان قد خلف كودرونى فى زعامة الحرس الحديدى . وكان قاتلوه من رجال البوليس السرى الذين كانوا يطاردونه .

وكان كريتسكو قد سجن هو وآخرون من رجال الحرس الحديدى ولكنه هرب فى أثناء نقله الى المحكمة العسكرية ، وبعد موت كريتسكو انتحر المحامى ميرسيا فى مسكنه ، وكان زعيما صغيرا للحرس الحديدى ،

وبعد فترة نبش بوليس الدولة مصنعا كان الحرس الحديدى قد أقامه . وكان الذى وجه نظر البوليس اليه انفجار قوض بيتا فى احدى ضواحى بوخارست قبل بضع أسابيع .

وقد قتل فى هذا الانفجار طالب فى قسم الفلسفة بالجامعة كان مشتغلا بصنع آلة جهنمية . فتتبع البوليس الاثر الى أن كشف أن ملازما من ضباط دار الصناعة الحربية كان يشتغل بصنع قاذفات للهب فى دكان لصناعة الاقفال . وكانت هذه القاذفات تشتغل تحت ضغط جوى مقداره ٢٠ درجة وفى دائرة نصف قطرها مائة متر

فادعى الملازم ديميترسكو أنه كان يصنع قاذفة اللهب خضوعا لأوامر وزارة الحرب . وكان لديميتريسكو وكيل مؤتمن من رجال الحرس الحديدى وقد أمده برداء أونباشى ، وكان هذا الرجل مشرفا على صناعة القاذفات اللهب هذه .

وكان عدد من هذه القاذفات قد تم صنعه بالفعل وكانت مودعة فى مخازن مصانع مختلفة فى بوخارست . وقد قبض على تسعة عشر رجلا كانوا مشتغلين بهذه الصناعة عدا الملازم ديميترسكو

وكان بين المقبوض عليهم محامون وأطباء وطلبة ومدير احدى شركات البترول وموظف فى الاكاديمية الرومانية ، وبعض سائقى السيارات وصانعى الاقفال وغيرهم .

وكان رجال الحرس يعملون تحت قيادة البروفسور سيما قائد الفرقة الذى جله وصفه فى أول هذا الفصل

وقد انتهز الملازم ديميترسكو ، بعد القبض عليه ، فرصة غياب حارسه لحظة فشنق نفسه بحزام سيفه . ويقول البلاغ الرسمى إن رجال الحرس قد اعترفوا بأنهم كانوا معتزمين أن يشعلوا النار فى كثير من البنايات العامة فى بوخارست كبناية دار البريد والتلغراف ومحطة الاذاعة اللاسلكية وغيرها .

وبعد ذلك بوقت قليل ، فى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٩ حكمت المحكمة العسكرية فى كلاوزنبرج على ٥٠ من رجال الحرس الحديدى السابقين ، بعد محاكمة سياسية كبيرة . وكان بين المحكوم عليهم طالبان حكم عليهما بالاعدام هما أوريل راسكالينو وعمره ٢٤ سنه وجون بوب وعمره ٢٢ سنة وحكم على طالب ثالث اسمه أتوفانى بالاشغال الشاقة المؤبده .

ولكن السلطات الرومانية لم تكن تتبع رجال الحرس الحديدى فقط وانما كانت تتبع نظام التابور الخامس العالمى وتقاومه ، وهنا اصطدمت بمقاومة الوزير الألمانى المفوض فابرشيوس صهر ريبنتروب .

ولأسرة فابرشيوس فروع عديدة وقد وضعت جميع أفرادها تحت تصرف الجاسوسية الألمانية فى كثير من الممالك . وقد يصادف القراء هذا الاسم فى فصول ثانية .

والمفوضية الألمانية فى بوخارست هى التى تمسك خيوط التابور الخامس بيدها . وهى التى تعطل كل خطوة تخطوها الحكومة لمقاومة هذا التابور ، فهى تهدد ، وتفسد الموظفين ، وتعد وترشو وترهب وتحيك الدسائس وتربك الادارة وتشترى الصحف ووكالات الأخبار . ولها

رسل بين موظفي جميع الصناعات الهامة . ومحاربة الحكومة الرومانية لجميع هذه الوسائل لا يمكن مقارنتها إلا بمحاربة السيسيفوص .

ففي وقت من الأوقات كان على الحكومة أن تتخذ اجراءات ضد تنظيم جماعات البنادق بين الاقلية الألمانية . وفي وقت آخر تكشف مؤامرة على حياة الملك . فقد كان التابور الخامس والحرس الحديدى يعملان متكاتفين بقيادة البروفسور سيما .

وفى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٩ اغتيل مسيو كالينسكو رئيس الوزارة الرومانية ، وقد كان فى سيارته فى طريقه الى القصر الملكى ، ووقع الاعتداء عليه فى شارع من شوارع بوخارست الرئيسية ، وكان قتلته من رجال الحرس الحديدى الذى كان هو قد قمع حركته فى غير رحمة . وقد أصيب مسيو كالينسكو بأحدى عشرة رصاصة دخلت ثلاث منها الى رأسه

وبعد أن قتل رئيس الوزارة ذهب قتلته الى محطة الاذاعة اللاسلكية فاطلقوا الرصاص على حارس الباب وجرحوه ثم اقتحموا طريقهم الى غرفة الاذاعة .

وهناك وقفوا فونوغرافا كان يذيع بعض الاغانى

وأمسك أحدهم بالميكروفون وقال فى لهجة مضطربة : « لقد قتل رئيس الوزارة كالينسكو . فقد اعدمته جماعة من رجال الحرس الحديدى »

وتبع ذلك صراخ وتشويش استمر ربع ساعة الى أن قطع الاتصال ثم استأنف المذيع الرسمى عمله . فقال : ان البرنامج قد اضطرب بحادث يدعو الى الأسف ، ولكننا الآن نستأنف عملنا .

واستؤنفت اذاعة الموسيقى ، ودخل البوليس فى الوقت نفسه الى محطة الاذاعة وقبض على ستة من القتلة . وقد قتلوا رميا بالرصاص فى المكان الذى ارتكبوا فيه جنايتهم

وقد دعت سلطات بوخارست الاهالى لمشاهدة الرجال يواجهون فرقة التنفيذ عند جسر ديمبوفتيز . وقد انتحر اثنان من قتلة كالينسكو فى بيت التجأ اليه .

والرئيس القتيل ارماند كالينسكو (المولود فى سنة ١٨٩٣) والمعروف بأنه « العامل الديناميتى فى السياسة الرومانية » كان سياسيا لم يعتمد على المصادفات . فهذا الرجل القصير النحيل ذو المنظار الاسود المفرد والنقن البارزة لم يكن يظهر بدون حرسه الشخصى . وصحيح أنه بدد الحرس الحديدى الذين كانوا يطلبون دمه ، ولكن بقى مع ذلك معرضا للاعتداء ولم يكن يساوره الوهم فيما يتصل بسلامته فكان يقول : « اننى أعيش مع الاشباح ولكن ذلك لا يرعد عظامى ! »

وكان القضاء على الحرس الحديدى أحد واجبات حياته

وفى ديسمبر سنة ١٩٣٣ قبل كالينسكو ، نزولا على رغبة الملك كارول ، تولى وزارة الداخلية فى وزارة جوجا . وقد لعب فى هذه الوزارة دورا مكيافيليا .

فأعد « ملف جوجا » الذى بين فيه بتفصيل واسع الخراب والانهيار المدمر ، وبخاصة فى الميدان الاقتصادى ، الذى تقود حكومة رئيس الوزارة البلاد الرومانية فى طريقه . ووضع كالينسكو هذا الملف بين يدى الملك

الذى عندما اطلع على ما فيها من حقائق لا موضع للجدل فيها ، أرغم جوجا على الاستقالة فى الحال ، ولكنه فى الوقت نفسه حل جميع الاحزاب السياسية الاخرى وحرم قيام الحرس الحديدى تحريما نهائيا

ولما أظهر كالينسكو (وقد أصبح وزيراً للداخلية فى وزارة البطريرك ميرون كريستيا) أنه معتزم أن يطأ كودرونى وعصابته ، أرسل خمسون من رجال الحرس الحديدى كلمة قالوا فيها إنهم سينتحرون أمام القصر الملكى إذا وضع أى انسان يده على قائدهم كودرونى .

فأجاب كالينسكى على ذلك بقوله : « خمسون ؟ إن هذا قليل جدا . فلماذا لا تكونون ثلثمائة ؟ ولكن لا تذهبوا الى القصر الملكى ، فهناك قد يقبض عليكم قبل أن تتموا غرضكم ، وسيكون ذلك داعيا للاسف فالأفضل أن تحضروا الى بيتى . فهناك ستكونون أحراراً فى أن تفعلوا بأنفسكم ما تريدون »

وكان كالينسكو يذهل زائريه بما يظهر من معرفته الاشخاص وشؤونهم معرفة دقيقة . وكان إذا أخطر بحضور زائر لم يسمح له بالدخول قبل أن ينظر فى عناية إلى ملفه الخاص .

وقد أنشأ كالينسكو بالاشتراك مع الملك نظام جبهة التجديد الوطنى الذى كان هو سكرتيره العام . وجعل لهذا النظام لباسا رسميا كان لابد من أن يلبسه الوزراء والنواب والشيوخ . ولم يكن هذا اللباس قميصا من أى لون ولكنه كان مقطوعا على طراز الرداء العسكرى البريطانى . وكان الوزراء يلبسون على الرداء الازرق القاتم ذى النجوم الذهبية ،

أشرطة صفراء على سواعدهم تتوسطها صلبان زرقاء . وكان كالينسكو يرى فى هذا اللباس رمزا الى تحويل الروح الوطنية الى الناحية العسكرية .

وفى خريف سنة ١٩٣٩ تألفت حكومة «تجديد وطنى» برئاسة مسيو تاتاريسكو ، وصحيح ان الدكتور مانيو زعيم حزب الفلاحين الوطنى الديمقراطى قد وقف جانبا ؛ ولكن ميهالاش ، أهم ممثل للفلاحين الديمقراطيين بعد مانيو ، كان ممثلا فى المجلس الخاص ، حتى ولو انه رفض أن يلبس الرداء الرسمى لجبهة « التجديد الوطنى »

وفى أوائل مايو وصلت أخبار جديدة مزعجة

فقد اعترف عضو من أعضاء الحرس الوطنى القديم قبض عليه فى مقاطعة بانات بين رومانيا ويوغوسلافيا بأن هناك مؤامرة على اغتيال حياة الملك كارول ملك رومانيا .

قبض على هذا الرجل هو وفريق آخر من المهاجرين الرومانيين فى أثناء احاطة البوليس بجماعة من التابور الخامس بالقرب من بانشيفو على مسافة بضعة أميال شمال شرق بلغراد . وقد وجد بين المهاجرين طائفة من رجال الحرس الحديدى الذين هربوا عابرين الحدود من رومانيا وأقاموا فى القرى المحيطة ببانشيفو . وهذه هى النقطة المركزية لمقاطعة كبيرة من مقاطعات الاقلية الالمانية . ويكاد يكون جميع الرجال الذين قبض عليهم ممن يتكلمون لغتين اذ كانوا يتكلمون الرومانية والالمانية وكانوا يزودون بسخاء باموال يقال انها تجيئهم من مصادر

المانية . وكان بين المقبوض عليهم ضباط سابقون وآخرون يقال انهم محامون ورجال صناعة وطلبة . وكانوا مقيمين على مقربة من نقطة من أشد نقط الدانوب تعرضا للانظار والاخطار ـ هى أحدث وأكبر جسر على النهر ، وهو حلقة الاتصال الوحيدة بين بلغراد وسهل بانات الخصب الذى تزرع فيه الغلال ثم هى اقصر طريق إلى رومانيا

وتوجد على الضفة المقابلة من النهر محطة بلغراد الرئيسية لتوليد القوى ، ولا تبعد مطارات بانشيفو الجديدة كثيرا عن هذا المكان .

وتكثر الأندية الألمانية على وجه أخص حول كلوج وبراسوف فى ترانسلفانيا . وفى هذه الأندية كميات كبيرة من بنادق صيد الغزال ذات العيار الثقيل التى يمكن استعمالها بسهولة فى الاغراض الحربية .

وتحتفظ هذه الاندية بالبنادق لاعضائها برخصة عامه

ويدرب الاعضاء على إحكام الرماية بواسطة الاندية نفسها ، وفى الوقت نفسه يزودهم بعض الضباط الالمان الذين جاءوا حديثا الى رومانيا بصفة أنهم مدرسون للعمل فى المدارس الالمانية ، بمعلومات عسكرية خاصه

وكان التلاميذ الكبار فى المدارس الالمانيه يدربون على القاء القنابل ويعد هذا التدريب جزءا من برنامجهم الرياضى . ويسمون ذلك « وضع القذيفه »

وصدرت الاوامر لعدد من الوكلاء الالمان بمغادرة البلاد . ولكن بمقارنة هذا العدد بعدد الالمان المسموح لهم بالاقامة فى رومانيا — وهؤلاء يزداد عددهم يوما بعد يوم — لم يكن هذا النفى من العوامل

التي تبعث الى نفس الشعب الروماني بشعور الاطمئنان على سلامته من المؤامرات الالمانيه .

ولكن ادعى من هذا النوع الى الاطمئنان تلك الاجراءات العسكرية التي كانت تتخذ في جميع ارجاء البلاد ، لانها تنطوى على مظاهرة علنية موجهة الى الالمانيين للدلالة على أن الحكومة الرومانية لن تتلق أية ضربة ألمانية أو أى غزو المانى وهى راقدة مستسلمة .

فوثوق الالمانيين بانهم سيقابلون بالمقاومة اذا هم حاولوا غزو رومانيا هو وحده الذى يحملهم على التردد فى الاقدام على هذا الغزو . لانه إذا نشب قتال لزمه التخريب والتدمير — وامتد هذا التخريب الى معامل تكرير الزيت .

وقد عبر سفتون دلمر فى جريدة دايلى اكسبريس عن ملاحظاته على ما شاهده فى رومانيا فى ابريل سنة ١٩٤٠ فقال :

« وعلى ذلك كان المتشائمون يظنون أن بوخارست قد تستيقظ صباح يوم من الايام فتجد مبانيها العامة ومحطة سكة الحديد وغيرها من الاماكن ذات القيمة العسكرية وقد احتلها الالمان ، بينما كتائب الاعدام تحيط بالمدينة وتلقى القبض على كل من تعتقد أنه خطر على تحكم المانيا فى رومانيا

« وأن جنودا آخرين مثل هؤلاء قد أرسلوا الى احتلال أماكن مثل براسف (حيث يوجد عنصر المانى رومانى قوى) وبلوليتى (حيث توجد آبار زيت وخط أنابيب وملتقى لسكك الحديد) وجرجوا (مرفأ دانوبى لشحن الزيت) ومراكز أخرى معروف أن فصائل من رجال

الحرس الاسود مختبئة فيها

« وقد يكون الجيش الالمانى نفسه فى ذلك الوقت مسلطا نيرانه على حصون الحدود الرومانية . وقد تكون جنود أخرى مشتغله بمد حركة الانقلاب الالمانى النموى بالإمدادات القوية .

« وقد لاحظ البوليس الزيادة الخطيرة فى عدد المقيمين فى بوخارست بجوازات سفر المانية اذا بلغ عددهم الى ٢٨٠٠٠ شخص وهورقم لامثيل له من قبل . ويعرف البوليس انه وان لم يكن جميع هؤلاء الاشخاص بالطبع ، تابعين للحركة الخفية إلا ان ١٦٠٠٠ منهم كانوا منضمين لتشكيلات حزب النازى الذى كان زعيمه فى رومانيا « كونرادى » الشرير الضئيل الجسم المستشار التجارى بالمفوضية الالمانية هنا

« ويعرف البوليس ان كونرادي ، واعوانه قد ابلغوا الرجال المنضمين لهذه التشكيلات الأوامر المتصلة بما يجب عليهم ان يعملوه فى « حالة الطوارىء »

« ويكاد يتساوى فى الاهمية مع النظام ، الذى أعده ألمان الريخ لمشروعات هتلر فى رومانيا ، اتحاد الالمان فى رومانيا ، وهو نظام آخر يشمل القسم الاكبر من الثمانمائة الألف المتحدثين بالالمانية من السكان.

« وللاتحاد جريدته الخاصة للشباب المكتوبة باللغة الالمانية ، التى تنتهج ، على الرغم من الرقابة الرومانية ، خطة صريحة فى معاداة الحلفاء ومناصرة المانيا والمبادىء النازية . وهذا النظام نسخة طبق الأصل من نظام الوحدات ، من قواتها الاقليمية الى الخلايا فى القرى .

« وتستطيع أن تثق بأن زعماء الحرس الأسود الألمانى والجستابو ، الذين قطعوا سنوات فى هذه البلاد يدرسون المركز الألمانى الرومانى ، قد جمعوا عددا من هؤلاء الرجال للتجسس وأعمال التخريب وللتعاون مع الجيش الألمانى اذا هو اجتاز الحدود الى داخل رومانيا . ويحدث هذا على الأسلوب نفسه الذى اتبع فى بولندا حيث الأقلية الالمانية البولندية قد نظمت للتعاون مع الجيش الالمانى النازى . وهؤلاء الرومانيون الالمان حلفاء عظيمو القيمة بصفة خاصة للجواسيس الالمان ، فكثيرون منهم يعملون فى مراكز رئيسية فى الصناعات الرومانية ومناجم الزيت . وبعضهم خدم مدنيون فى السفارات والمفوضيات الأجنبية فى بوخارست »

والآن ندخل مباشرة إلى وسط قصة من قصص الجاسوسية : فمنذ أشهر قليلة مضت أرسل هملر الى بوخارست السيدة أديث فون كوهلر التى يقال أن اسمها الحقيق أديث هملر .

وهذه السيدة الرشيقة الشقراء من أقرباء رئيس الجستابو الأدنين وهى وإن كانت فى الثانية والخمسين من عمرها إلا أنها تبدو كأنها فى الخامسة والثلاثين .

وأديث الشقراء سيدة ماهرة جداً مثقفة تثقيفا حسنا وجذابة من كل ناحية . ولها ابنة متزوجة من هرمان فون مولر رئيس تحرير جريدة هامبورجر فرمدنبلات .

ومهمتها الرسمية أن تراسل جريدة « دوتشه الجمين تسيتونج » وأن تكتب مقالات للصحافة الرمانية ، وتحت أمرتها قلم تحرير كبير مستعد

لكتابة مقالات فى اى موضوع كان باللغة الرومانية.

على أن السيدة فون كوهلر ترتب أهمية اكبر على الاتصال الشخصى وهى مضيفة مبهجة سواء فى ولائم العشاء الخاصة جداً أو حفلات الاستقبالات الكبرى. وجرت إشاعة قاسية بأنها كانت أداة استخدمت لاحلال البروفسور كونستانتين جيورسكو محل مسيو راديو وزير الدعاوة المتوفى الذى كانت عواطفه النازية جامدة.

والوزير الجديد هو المسؤول عما حدث منذ عهد قريب من إبعاد مورنيس لوفل، المراسل الأول لروتر فى بوخارست، الى خارج رومانيا. وإننا لنذكر أن أمر الابعاد جاء على أثر تلغراف لروتر أشير فيه إلى هناك انذارا نهائيا توشك ألمانيا أن تبعث به الى رومانيا. وقد تلقى لوفل معلوماته هذه من أحد وكلاء السيدة فون كوهلر وهو كونرادى الذى سبق ذكر اسمه

وكان غرض أديث كوهلر أن تسوىء العلاقات بين بريطانيا العظمى ورومانيا. وقد انتهزت فرصـــة اللحظة التى أعلنت فيها زيارة البعثة الاقتصادية الرومانية للندن.

وكان أخطر رجال مكتبها شأنا الدكتور جيدو شميدت أحد وزراء النمسا السابقين الذى كان واجبه أن يبيع شوشنج التعس لهتلر. والفرد شومر «طائر النحس» ـ وقد أطلق الخبراء عليه هذا الاسم لأنه يظهر دائما فى أية مملكة يقصدهتلر الى غزوها ـ وعنوانه الدائم هو «البيت الرمادى» فى ميونيخ، ولكن فى أوقات الازمات يطير «طائر النحس» بعيدا

وفى يناير سنة ١٩٣٨ كان هذا الرجل فى فينا وفى صيف سنة ١٩٣٨ شوهد فى براغ ، وقبل ١٥ مارس سنة ١٩٣٩ بوقت قصير عاد للظهور فى براغ .

ومهمة شومر الرسمية فى بوخارست هى « خبير النقل » ليحدد أسعار مواد التموين الرومانية المصدرة الى ألمانيا ، ويعد محطات جديدة لإخراج الزيت للمستودعات» وتسهيل الشحن فى السفن وتحويل الخطوط الحديديه الرئيسية المفردة الى خطوط مزدوجة وغير ذلك من المسائل . ولدى الرجل ١٠٠٠٠ ألمانى يعملون لحسابه . بينهم كثير من رجال الحرس الاسود المدربين المتعودين على الاعمال العسكرية فى الثياب المدنية من أيام الحملات الماضية فى النمسا والسوديت وبولاندا

والفرد شومر وأديث كوهلر يشبهان شخصين منقولة صورتاهما عن الروايات البوليسية الرخيصة التى تصور الحياة الاجتماعية فيها وفاق الآراء البرلينية .

وتلعب هاتان الشخصيتان دور الزوجين الرشيقين اللذين لايبدو عليهما أنه يساورهما أقل خوف من أن يتبين فيهما أبناء الهيئة الاجتماعية الحقيقية فى الحال نصابين وغشاشين فى اللعب .

وتحب « إديث الجميلة » أن تصطنع وقفة الوهن . فأى انسان ينظر الى العينين الزرقاوين فى وسط ذلك البياض البلاتينى لايرى فيهما غير الإعتلال والتعب وكأنهما تقولان : « هل تظنون حقاً أنى أهتم بهؤلاء البلقانيين البلداء ؟ »

أما صاحبها ، فانه على العكس من ذلك ، شديد الاهتمام بأن يخفى نقصه الطبيعى بمهارة خياطه

وشعره الملون بعمل الحلاق لا بتأثير السن ، مسرح الى الوراء بالبرلنتين .

وتبرق الخواتم الماسية على أصابعه المزينة بالمانيكير

وهو فى كل شيء فيه حتى ادق الاشياء أشبه ما يكون برؤساء الباعة فى حوانيت برلين .

وهو ميكيا فيللى البورجوازية الالمانية الصغيرة

ولكن سوء حظ هذه الحقبة المزعجة فى تاريخ العالم هو الذى قضى من وجهة النظر البسيكولوجية ، بأن يجيء «ريشيلو» هذه الاوقات من عرض الطريق ومن الحانات ، وبأن يجيء سفراؤهم من طبقة الكتبة والمتجولين فى شامبانيا .

وفى حاشية هذين الاثنين تابعان من الاتباع الأقل شأناهما الدكتور كليوديوس والدكتور نيوباخر عمدة «فينا» السابق

ومنذ نشبت الحرب كان هذا الرجل أحد وكلاء هتلر الخاضعين فى خدمة التوغل فى البلقان . ولم يكن الدكتور نيوباخر نازيا إلا من خمس سنوات فقط . والى فبراير سنة ١٩٣٤ عند ما قمع الدكتور دلفوس حركة الديمقراطيين الاشتراكيين فى النمسا كان الدكتور نيوباخر من الاقتصاديين السياسيين البارزين فى صفوف الاشتراكية النمسوية . وهو من الاخصائيين فى الأخشاب وكان فى فينا رئيسا لجمعية مدنية للاصلاح

أحاطت فينا بنطاق من الضواحى المعدة للطبقة العاملة مكونة أساسيا من بيوت خشبية . فلما تحطم الحزب الاشتراكى انتقل نيوباخر الى النازى، ولكى يعتذر من انقلابه المتأخر الى الهتلرية انتحل خطة شديدة التطرف فأصبح واحدا من زعماء النمسويين « الخارجين » على القانون وعمل كل ما وسعه جهده ليكون مصـــيره مصير «شهيد» نازى ، وقد نجح آخر الأمر فى سنة ١٩٣٧ عنـد ما قبض عليه بتهمة الخيانة . وبعد ضم النمسا عين نيوباخر عمدة لفينا الى أن عزله بيركل فى سنة ١٩٣٩

ويصحب الدكتور كلوديوس والدكتور نيوباخز عـدد كبير من الاقتصاديين المحترفين ، ولـكن وراء ذلك جيش أكبر من الخبراء الذين رئيسهم الحقيقى هو هر هملر رئيس الجستابو صاحب السلطان المطلق . ومنذ عهد طويل الى الآن أطاع الوزراء المفوضون الالمانيون فى تلك الممالك البلقانية - التى هى فى اللحظة الحاضرة أعظم البلاد شأنا فيما يتصل بأغراض المانيـا الاقتصادية للشئون الحربية امثال (الدكتور ولهلم فابريسيوس فى بوخارست والهر فون هيرن فى بلغراد والبارون فون ريختهوفن فى صوفيا) أطاع هؤلاء أوامر ريبنتروت وأضافوا الى أعوانهم أشخاصا معينين ممن اختارهم هملر

وبينما كلوديوس ونيوباخر ووهلتـات — الذين عادوا الآن الى السويد، وشنير وربتر فى موسكو، يظهرون فى اثواب المفاوضين الحقيقيين المخلصين النية المختصين فقط بمسائل حصص الواردات والأثمان والتعريفة الجمركيه ، اذا بجيش من الوكلاء الالمانيين يمشى فى السر فى طريقه اليهم .

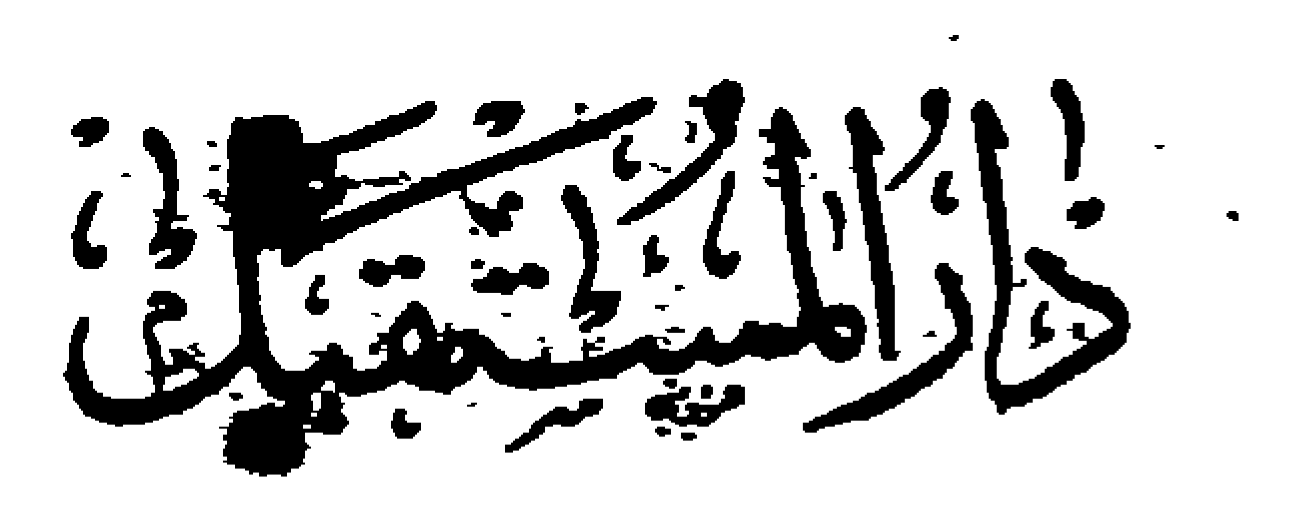
ويحتوى هذا الجيش ، الى جانب الصحفيين . على رجال الاعمال والمهندسين وعدد كبير من الشابات الصغيرات الجميلات الفاتنات المغريات القادرات على التكلم باللغات الاجنبية ، اللواتى أعدت لهن وظائف فى دور الاعمال المختلفة وفى البيوت التجارية .

وأوضح صورة للوسائل الالمانية فى تسيير الحرب الاقتصادية فى البلقان هى تلك الصورة التى يتخيلها الانسان من خلال الاوامر التى صدرت للمفوضيات الالمانية فى بوخارست وبلغراد وصوفيا بأن تجد اعمالا للخادمات الالمانيات فى الفنادق حيث تكون مهمتهن العملية هى التجسس وعلى الاخص التجسس التجارى .

فهن يصغين الى جميع المحادثات ويفتحن الخطابات ويفتشن حقائب الزائرين ويرسلن التقارير لرؤسائهن

ويلاحظ جميع السائحين القادمين من البلقان تلك الكثرة المدهشة فى عدد الخادمات الألمانيات فى الفنادق حتى فى البلدان الصغيرة ، كما يلاحظون أيضا الزيادة الظاهرة فى عدد الراقصات الالمانيات فى العواصم البلقانية .

والحق أن هذه الوسائل التى يراد بها اسقاط دولة من الدول انما هى وسائل تفوق حد التصور .



تليفون ٥٤٨٨٩ مصر

